مجلة تدبر

مجلة دورية علمية محكمة تعنى بتحكيم ونشر البحوث والدراسات المتصلة بمجالات تدبر القرآن الكريم، وتصدر مرتين في السنة

العدد الثاني عشر - السنة السادسة. رجب ١٤٤٣هـ/ فبراير ٢٠٢٢م

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]

الجزء الثاني

موضوعات العدد:

- سُنَنُ اللهِ في قصةِ موسى وبني إسرائيل في القرآن الكريم
  د. صالح بن شيبان الثُّبيتان
- الإعراضُ عن اللغو من صفات أهل الفلاح
  قال تعالى: (والذين هم عن اللغو معرضون) سورة المؤمنون ٣
  د. رُقيَّة بنت محمد سالم باقيس
- توجيهُ وقوفِ العلامة الهَبَطِيّ (ت ٩٣٠هـ) التي ردَّها الشيخُ العُمَيْرِيُّ (ت ١٤١٣هـ)
  د. طلال بن أحمد بن علي بن محمد
- التناسبُ بين سورتي التكاثر والعصر وأثره النفسي والتربوي
  أ. د. أمل إسماعيل صالح صالح
- الإيحاءُ البلاغيُّ لـ "ها" التنبيه إثباتًا وإسقاطًا من اسم الإشارة "أولاء" الواقع بعد الضمير في الذكر الحكيم
  أ. د. أحمد محمد محمود سعيد
- تقريرُ رسالة علمية بعنوان:
  أثر تدبر القرآن في تعزيز المسؤولية المهنية لدى الداعيات: دراسة ميدانية على معلمات القرآن الكريم بمدينة الرياض
  أ. رانية محمد علي الكيني
- تقريرٌ عن مشروع علمي قرآني بعنوان: مؤسسة جياة لتدبر القرآن الكريم

مجلة تدبر

سُنَنُ اللهِ في قِصَّةِ مُوسَى وَبَنِي إِسْرَائِيلَ في القُرْآنِ الكَرِيمِ

د. صَالِح بْن ثنيَّان الثُّنيَّان

الأستاذ المُشارك بقسم التفسير وعلوم القرآن
بكليّة القرآن الكريم والدراسات الإسلامية
بالجامعة الإسلامية

قدم للنشر في: ١٤٤٢/١٢/٥
قبل للنشر في: ١٤٤٣/٣/٢٠
نشر في: ١٤٤٣/٧/١

◆ حصل علىٰ الماجستير في: قسم الفقه في كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية. بأطروحته: المَطْلَب العَالي فِي شَرْحِ وَسِيْطِ الإمامِ الغَزالِيِّ لِابنِ الرِّفْعَةِ ت (٧١٠ هـ) مِنْ بِدايةِ: كِتابِ الشُّفْعَةِ، إلىٰ نِهايَةِ: الفَصلِ الأَوَّلِ مِنْ البَابِ الثَّانِي مِنْ هذا الكِتابِ وَفِيهِ: (فِيْما يَحصُلُ بِهِ المِلْكُ) دراسةً وتحقيقًا.

◆ وحصل علىٰ الدكتواره في: قسم التفسير في كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية. بأطروحته: القَوْلُ الوَجِيْزُ فِيْ أَحْكامِ الكِتَابِ العَزِيْزِ لِلسَّمِيْنِ الحَلَبِيِّ (ت ٧٥٦هـ) مِن بِدايَةِ كلامِهِ علىٰ الآيةِ رَقم (٥) مِن سُورَةِ إبراهِيمَ إلىٰ نِهايَةِ كلامِهِ عَلىٰ الآيَةِ رَقم (٦٧) مِن سُورَةِ النَّحْلِ، دراسةً وتحقيقًا.

النتاج العلمي:

◆ أرجىٰ آيةٍ في القُرآنِ الكريمِ.
◆ أخوف آيةٍ في القُرآنِ الكريمِ.
◆ الشَّواهِدُ الشِّعريَّةُ علىٰ غَريبِ القُرآنِ مِن مُعلَّقَةِ عنترةَ بنِ شدّاد.
◆ الشَّواهِدُ الشِّعريَّةُ علىٰ غَريبِ القُرآنِ مِن مُعلَّقَةِ زُهير بنِ أبي سُلمىٰ.
◆ الشَّواهِدُ الشِّعريَّةُ علىٰ غَريبِ القُرآنِ مِن مُعلَّقَةِ عمْرو بن كلثوم.
◆ قاعِدَةُ: (المُعامَلَة بِنَقِيْضِ القَصْدِ الفَاسِدِ) وتطبيقاتُها عِنْدَ المُفَسِّرين.
◆ مُناسبَةُ القَصَصِ في سُورَةِ (ص) لِمَقْصَدِ السُّورَةِ.
◆ تَدارُسُ القُرآنِ الكَرِيْمِ عِنْدَ القُرُونِ المُفَضَّلَةِ مراتِبُهُ وأَحوالُهُ وفوائِدُه.

◆ البريد الشبكي: abohithm@gmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المُسْتَخْلَص

يتناولُ بحثُ (**سُنَن اللهِ في قصةِ موسىٰ وبني إسرائيل في القرآن الكريم**) استنباطَ سُنَنِ اللهِ من قصةِ موسىٰ وبني إسرائيلَ، ودراستها، واشتمل البحث علىٰ **مبحثين**: **المبحث الأول**: مدخلٌ لِدراسَةِ سُنَنِ اللهِ، واشتملَ علىٰ تعريف السُّنَنِ وهي: القوانينُ المُطَّرِدَة التي وضعها اللهُ لِنفْسِهِ وعلىٰ مخلوقاتِهِ، المَقطوعُ بِتَحَقُّقِها ما لم يَعرض لها مانعٌ، وتَمَّ بيانُ أنواعِها، وسُبلُ معرفةِ السُّنَنِ وفوائدُ معرفَتِها، **والمبحث الثاني**: تمت دراسةُ السُّنَنِ المستنبطة من قصة موسىٰ وبني إسرائيل وذلك في ستَّةِ مطالبَ: السُّنَنُ المُتَعَلَّقَةُ بالله، وبالإيمان، وبالدعوةِ، وبالنصرِ والتَّمكينِ، وبالكُفرِ والتَّكذيبِ، وبالجَزاءِ.

وقد سارَ منهجُ الدراسةِ: علىٰ المنهج الاستقرائي والاستنباطي والتَّحليلي، **ونوع الدِّراسة**: نظريَّة مكتبيَّة،

وأهمُّ النتائِج: عددُ السُّنن التي تَمَّ استنباطُها ودراستُها: (٦٨) سُنَّةً، وقد تمَّ دراستُها في (٦) محاوِرَ، منها (٦٤) سُنَّة كُلِّيَّة، و(٤) سُنَنٍ أَغْلَبِيَّة، وكُلُّ هذه السُّنَنِ قائمةٌ علىٰ عَدْلِ اللهِ وحِكْمَتِهِ ﷻ، والمسلمونَ بحاجَةٍ إلىٰ معرفةِ سُنَنِ اللهِ والعملِ بما فيها، ومِن **أَهَمِّ ما ينبغي التمسُّكُ بِهِ مِمَّا تتضمَّنُه تلك السُّنَنُ**: أنَّ الصبر مِنْ أَسْبابِ التَّمْكينِ وحُسْنِ العاقبة، وأنَّ اللهَ أَعطَىٰ الأمنَ والمَعيَّةَ والرعايةَ لأوليائِهِ، وأنَّ الإيمانَ والتقوىٰ سببانِ أساسيَّانِ لاصطفاءِ اللهِ ورحمتِهِ، والإيمانُ مِن أعظمِ

أسبابِ دفعِ البلاءِ، وأَنَّ اللينَ في الدعوةِ سببٌ في تقريبِ الناسِ لقبولِ الحقِّ، وأنَّ اللهَ ينصرُ ويُنجي ويُمكِّنُ لعبادِهِ المؤمنين، وأنَّ الشكر سببٌ للبركَةِ، والـمَغفرةُ والتوفيقُ خاصٌّ بِمن جمعَ بين الإيمانِ والعمل الصالح، وإثابةُ اللهِ لِلـمُحسِنِ وعدمُ إضاعَةِ أجرِ مَنْ أحسَنَ عملًا.

ومِن أهم ما ينبغي تجنُّبُ الوقوعِ فِيـما تتضمَّنُه تلك السُّنَنُ: أنَّ الشركَ والظلمَ والطُّغيانَ من أسبابِ الهلاكِ والخُسرانِ، وأنَّ الكفرَ باللهِ سببٌ للعنةِ اللهِ وغَضَبِهِ وسببٌ لقَسْوةِ القلوبِ، وأنَّ مكرَ وكيْدَ أهلِ الباطِلِ بأهلِ الإسلامِ إلىٰ خسارٍ، وأنَّ الذي يصدُّ عن دينِ اللهِ ويُحارِبُ أولياءَهُ، ينتقِمُ اللهُ منه، وأنَّ العلْمَ بدونَ عملٍ وبالٌ علىٰ صاحبِهِ، ومَنْ تعنَّتْ وبدَّل وحرَّفَ شَقَّ اللهُ عليه وعذَّبه، وأنَّ مَنْ رَضِيَ بالباطِلِ ولم يَعمَلْه شملَهُ العقابُ، وأنَّ الكفرَ سببٌ لإحباطِ الأعمالِ، ومَنْ يتولَّ يستبدِلْه اللهُ بخيرٍ منْهُ، ومَنْ أرادَ أَنْ يضُرَّ اللهَ فإنما يضُرُّ نفسَهُ، ومَنْ نسيَ اللهَ نسِيَه اللهُ.

الكلمات الـمِفتاحيَّة: السُّنَّةُ، الإيمان، الكُفْر، الجَزاء.

Allah's Unchanged Laws "Sonan" in the Story of Moses and the Israel's in the Holy Quran

Researcher
Dr. Saleh Thunayan Al- Thunayan
Associate Professor, College of the Holy Quran & Islamic Studies
Department of Interpretation & Quranic Sciences
Islamic University in Medina

Abstract

The current research "Allah's Unchanged Laws "Sonan" in the Story of Moses and the Israel's in the Holy Quran", deducts and studies Allah's Sonan from the story of Moses and the Israel's. The research is divided into two main sections:

Section One is an introduction to understand the Unchanged Laws of Allah, which is defined as: "Allah's unchanged laws He stipulated to govern Himself and His creations. These laws are definite to happen unless and hinder occurs". In addition, the research tackles the types of these Unchanged Laws, how to recognize them, and the benefits of knowing them. Section Two studied the Unchanged Laws deducted from the story of Moses and the Israel's; and will cover six subsections: the laws related to Allah, faith and beliefs, Calling to Allah, gaining victory and empowerment in the land, disbelief and rejection of faith, and rewards and punishments.

The research adopts the Inductive, Deductive and Analytical Methodologies. The study is theoretically library based.

The most significant findings: the number of Unchanged Laws (Sonan) extracted and studied are sixty-eight (68) distributed on six

(6) aspects, including sixty-four (64) considered as 'Comprehensive" and four (4) were deemed 'Mostly Applicable". All these Unchanged Laws are based on Allah's Justice and wisdom -Glorified be Him-. What must be adhered of these unchanged laws "Sonon" include; Patience is one of the reasons for empowerment and good endings. Allah granted security, togetherness and care to the allies of Allah. Faith and Fearing Allah are two main reasons for gaining Allah's selection and mercy. Kindness in call is a reason for helping people accept right. Allah grants victory to the faithful and empower them in this world. Thanking is a reason for blessing, forgiveness and guidance especially for those fathering between faith and good deeds. Allah will reward the good people and never allow the reward of any who did well in deeds to be lost.

The most significant aspects to be avoided which are included in these unchanged laws "Sonon": Disbelief, injustice, and tyranny are of the reasons for loss and destruction. Disbelief is a cause of Allah's curse and anger as well as being a reason for hearts' cruelty. The plots of the evil people against the faithful shall be null. Those who try to prevent Allah's light to reach all people and fight Allah's alleys shall be punished. Knowledge without deeds are against holders of such knowledge. Those who alter, modify and change Allah's religion shall be punished by Allah. Those who accept falsehood even if they do not do it shall be included in punishment. Disbelief is a reason for deeds to be worthless. Those who turn away from Allah's path shall be replaced with better people. Whoever wants to harm Allah shall just themselves only and those who forget Allah do forget themselves in fact.

Keywords: Sonah, Allah's Unchanged Laws, Faith, Disbelief, Judgment

المُقَدِّمَةُ

الحمد لله رب العالمين، والصلاةُ والسلام علىٰ أشرف الأنبياءِ والمرسلينَ، أما بعد..

للهِ ﷻ سُنَنٌ في الكونِ وفي مخلوقاتِهِ، حيثُ خلق اللهُ هذا الخلق بنظامٍ وسُنَنٍ دقيقَةٍ، قال تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾ [السجدة: ٧] فجعل للأفلاكِ سُننًا، وجعل للجماداتِ سُنَنًا، وجعل للحيوانات سُنَنًا، وجعل للبشر والجِنِّ سُنَنًا، قدَّرها وخلقها ﷻ في مخلوقاتِهِ، مَنْ عَرَفَها اطمأنَّت نفسُهُ، ومَن أخذَ بها أفلح ونجا، ومَن جهلها تحيَّر وتردَّد، ومَن ترك العملَ بها خابَ وخسر.

وهذه السُّنَنُ شاملةٌ عامَّةٌ لا تُحابي أحدًا ولا تُجامله، مَنْ أخذ بها من كافرٍ أو مسلمٍ أو صغيرٍ أو كبيرٍ، انطبَقَتْ عليهِ، وهي مستمرَّةٌ تتكرَّرُ حتىٰ قيامِ السَّاعَةِ، فمعرفةُ ما حلَّ بالناسِ من خيرٍ أو شرٍّ، أو غِنًىٰ أو فقرٍ، أو نصرٍ أو هزيمةٍ، فهي بسننٍ ربانية؛ ولأنها تتكرَّر فهي بحاجةٍ إلىٰ معرفتِها واستنباطِها ودراستها، وأَجَلُّ الكُتُبِ التي تُدرَسُ فيها السُّنَنُ وتستنبطُ منه هو: القرآنُ الكريم.

وقد وقع الاختيارُ علىٰ دراسةِ السُّنَنِ في قصةِ موسىٰ عليه السلام، وذلك أن موسىٰ عليه السلام وبني إسرائيلَ مِن أقربِ الأُمم لأمةِ الإسلامِ، في الزمنِ وفي العاداتِ والطبائعِ، وهي أكثرُ قصةٍ تكررت في القرآن الكريمِ، وذلك لِما فيها من العِبر والعِظات لأُمةِ الإسلامِ.

وقد كان النبيُّ ﷺ إذا أُوذِيَ يقولُ: «رَحِمَ اللهُ مُوسَىٰ، قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ»(١).

وقد أمر اللهُ نبيَّهُ موسىٰ أن يُذكِّر قومَهُ بِسُنَنِ اللهِ التي جَرَتْ علىٰ مَن قبلهُم مِن الناس، وأن يتَّعظوا ويعتبروا بها، فقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥].

قال ابن تيمية: وَعُهُودُ اللهِ فِي كِتَابِهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ تَنَالُ آخِرَ هَذِهِ الأُمَّةِ كَمَا نَالَتْ أَوَّلَهَا، وَإِنَّمَا قَصَّ اللهُ عَلَيْنَا قِصَصَ مَنْ قَبْلَنَا مِنْ الأُمَمِ لِتَكُونَ عِبْرَةً لَنَا، فَنُشَبِّهُ حَالَنَا بِحَالِهِمْ وَنَقِيسُ أَوَاخِرَ الأُمَمِ بِأَوَائِلِهَا. فَيَكُونُ لِلْمُؤْمِنِ مِنْ الْمُتَأَخِّرِينَ شَبَهٌ بِمَا كَانَ لِلْمُؤْمِنِ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ، وَيَكُونُ لِلْكَافِرِ وَالْمُنَافِقِ مِنْ الْمُتَأَخِّرِينَ شَبَهٌ بِمَا كَانَ لِلْكَافِرِ وَالْمُنَافِقِ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ(٢).

والغرضُ من هذا البحثِ معرفةُ سُنَنِ اللهِ الواردَةِ في قصةِ موسىٰ وبني إسرائيلَ؛ لأخذِ العظةِ والعبْرَةِ، والحرصُ علىٰ السُّنَنِ التي فيها الفلاحُ والنصر والتوفيقُ، والابتعادُ عن السُّنَنِ التي فيها أسبابُ الهلاكِ والخُسرانِ.

وفيما يلي: أهميَّة البحث. أهداف البحث. الدراسات السابقة. حدود البحث. خطة البحث. منهج البحث.

---

(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْه، رَواهُ البُخارِيُّ في صَحِيْحِهِ: كِتَابُ: المغَازِي، بَابُ: غَزْوَةِ الطَّائِفِ، (رقم٤٣٣٦)، ومُسْلِمٌ في صَحِيْحِهِ: كِتَابُ: الزَّكَاةِ، بَابُ: إِعْطَاءِ المُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ عَلَىٰ الإِسْلَامِ وَتَصَبُّرِ مَنْ قَوِيَ إِيمَانُهُ، (رقم١٠٦٢).

(٢) انظر: فَتاوَىٰ ابنِ تَيْمِيَّة (٢٨/ ٤٢٦).

أولًا: أهميَّة البحث.

١- دراسة السُّنَنِ الإلهية تُعين علىٰ الأخذ بالأسباب والسُّنَنِ التي فيها الفلاح والنصر والتمكين.

٢- دراسة السُّنَنِ الإلهية تُعين علىٰ الحذَرِ من الوقوعِ في السُّنَن التي فيها هلاكُ الناسِ وضرَرُهم، كما وقع لِلأمم السابقةِ الـمُكذِّبة.

٣- معرفة السُّنَنِ تزيد الإيمانَ باللهِ وقضائهِ وقدَرِهِ، وأنه ﷻ خَلَقَ الخلقَ بنظامٍ وسُنَنٍ منتظمةٍ ليس فيها خلَلٌ ولا جَورٌ.

٤- أخذ العبرةِ والعِظَةِ؛ ولذا حثَّ الله ﷻ بأخذ العبرة والعظة مِن القَصص الواردةِ في القرآنِ الكريم: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١]، ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ مِن بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٤٣]، هذه الآية تَدُلُّ علىٰ أهمية تدبر قصة موسىٰ، واستنباطِ الفوائِدِ والأحكام والسُّنَنِ.

٥- أنَّ بني إسرائيلَ مِن أكثرِ الأُممِ شبَهًا بِأُمةِ الإسلامِ، قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**لَتَتْبَعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّىٰ لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ**»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، اليَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ؟ قَالَ: «**فَمَنْ**»[(١)]، فدراسةُ السُّنَنِ التي ذُكِرَتْ في قَصصهم وأحوالِهم، له أهميةٌ كبيرةٌ لكثرة أوجه الشَّبَهِ بين الأُمَّتَيْنِ.

(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْه، رَواهُ البُخارِيُّ في صَحِيْحِهِ: كِتَابُ: أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَابُ: مَا ذُكِرَ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، (رقم٣٤٥٦)، ومُسْلِمٌ في صَحِيْحِهِ: كتاب، العِلْم، بابُ: اتِّبَاعِ سُنَنِ اليَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ، (رقم٢٦٦٩).

◆ ثانيًا: أهداف البحث.

١- تحريرُ مفهومِ سُنَنِ اللهِ في الشريعة الإسلامية.

٢- الوقوفُ علىٰ سُنَنِ اللهِ في قصةِ موسىٰ عليه السلام وبني إسرائيل.

٣- العمل بموجِبِ سننِ اللهِ وتطبيقُ ما ينتُجُ منها من فلاحٍ وخيرٍ، وتجنُّبُ ما ينتُجُ منها من هلاكٍ وشرٍّ.

◆ ثالثًا: الدراسات السابقة.

لم أقف علىٰ من دَرَسَ وكَتَبَ في السُّنَنِ الإلهية في قصة موسىٰ عليه السلام، ولكن وقفتُ علىٰ دراساتٍ عامَّةٍ ومتنوعةٍ في السُّنَنِ الدينية والسُّنَنِ الطبيعية، وأهمُّها:

١- مفهوم السُّنَنِ الرَّبّانِيَّة دراسةٌ في ضوء القرآن الكريم، للدكتور رمضان خميس زكي.

٢- سُنَنُ الله في الأمم من خلال آيات القرآن -دراسة موضوعية-، للدكتور حسن صالح الحميد.

٣- السُّنَنُ الإلهية في القرآن الكريم -أهميتها وخصائصها-، للدكتور داوُد بورقيبة.

٤- السُّنَنُ الكونية والاجتماعية في القرآن الكريم، للدكتور توفيق بن أحمد الغلبزوري.

٥- سُنَنُ الطبيعة والمجتمع في القرآن الكريم، للدكتور بكار محمود الحاج.

٦- السُّنَنُ الإلهية في الأمم والأفراد والجماعات والشعوب، للدكتور عبد الكريم زيدان.

٧- السُّنَنُ الإلهية مصادرها وضوابطها، للدكتور مجدي عاشور.

٨- السُّنَنُ الإلهية وخصائصها، وطرائق استنباطِ السُّنَنِ القرآنية، كلاهما للدكتور رشيد كهوس.

٩- سُنَّةُ اللهِ في الأسبابِ والمسبَّباتِ في القُرآن الكريم: دراسة تحليلية، للدكتور إبراهيم بن بلال محمد الزهراني.

◆ رابعًا: حدود البحث.

استقراء سُنَنِ اللهِ التي وردت في قصةِ موسىٰ عليه السلام وبني إسرائيل، في القرآن الكريمِ.

◆ خامسًا: خطة البحث.

- **ملخص البحث.**
- **المقدمة.**
- **المبحث الأول: مدخل لِسُنَنِ الله.** وفيه ثلاثةُ مطالِبٍ:
- **المطلب الأول:** تعريف السُّنَنِ.
- **المطلب الثاني:** أنواع سُنَنِ اللهِ ﷻ.
- **المطلب الثالث:** سُبلُ معرفةِ السُّنَنِ وفوائدُ معرفَتِها.
- **المبحث الثاني: السُّنَنُ الـمُسْتَنْبَطَةُ مِن قِصَّةِ موسىٰ وبني إسرائيل.** وفيه ستَّةُ مطالِبٍ:
- **المطلب الأول:** السُّنَنُ الـمُتعلِّقة بالله ﷻ.

- **المطلب الثاني:** السُّنَنُ الـمُتعلِّقَةُ بالإيمان.
- **المطلب الثالث:** السُّنَنُ الـمُتعلِّقةُ بالدعوةِ.
- **المطلب الرابع:** السُّنَنُ الـمُتعلِّقةُ بالنصرِ والتَّمكينِ.
- **المطلب الخامس:** السُّنَنُ الـمُتعلِّقةُ بالكُفرِ والتَّكذيبِ.
- **المطلب السادس:** السُّنَنُ الـمُتعلِّقةُ بالـجَزاءِ.
- **الخاتمة.**
- **فهارس المراجع والموضوعات.**

سادسًا: منهج البحث.

يعتمد البحث علىٰ المنهج الاستقرائي والاستنباطي، والتَّحليلي، وقد سِرتُ علىٰ المنهج التالي:

أذكر الآيةَ، ثم أذكُرُ السُّنَّةَ الـمُستنبطةَ منها، ثم أنقلُ أقوالَ المفسرين في بيانِ معنىٰ الآيةِ إن احتجتُ إلىٰ ذلك، ثم أُبيِّنُ وجْهَ دلالةِ الآيةِ علىٰ السُّنَّة.

المبحث الأول:

مَدخل لِسُنن الله

المطلب الأول:

تعريف السُّنَنِ

◆ أولًا: تعريف السُّنَنِ لُغةً:

نبدأ بأصل الكلمة في اللغةِ، قال ابنُ فارسٍ: السِّينُ وَالنُّونُ أَصْلٌ وَاحِدٌ مُطَّرِدٌ، وَهُوَ جَرَيَانُ الشَّيْءِ وَإِطْرَادُهُ فِي سُهُولَةٍ.. وَمِمَّا اشْتُقَّ مِنْهُ السُّنَّةُ، وَهِيَ السِّيرَةُ. وَسُنَّةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ: سِيرَتُهُ(١).

جاءت لفظةُ «السُّنَنِ» في اللغةِ علىٰ معانٍ كثيرةٍ، يُمكِنُ تلخيصها ممَّا له عَلاقةٌ بالمعنىٰ الاصطلاحي في ثلاثةِ معانٍ:

المعنى الأول: السيرة والطريقة.

قال الجوهريُّ: السُّنَنُ: الطَّريقةُ، يُقالُ: استقامَ فلانٌ علىٰ سَنَنٍ واحِدٍ(٢).

وقال ابنُ منظورٍ: وَقَدْ تَكَرَّرَ فِي الحَدِيثِ ذِكْرُ السُّنَّة وَمَا تَصَرَّفَ مِنْهَا، والأَصل فِيهِ الطَّرِيقَةُ والسِّيرَة، وإذا أُطْلِقَت فِي الشَّرْعِ فإنما يُرَادُ بِهَا مَا أَمَرَ بِهِ النبيُّ ﷺ ونَهىٰ عَنْهُ ونَدَب إِليه قَوْلًا وَفِعْلًا مِمَّا لَمْ يَنْطق بِهِ الكتابُ العَزِيزُ، وَلِهَذَا يُقَالُ فِي أَدلة

(١) انظر: مَقاييس اللُّغةِ لابْنِ فارِس (٣/ ٦١).

(٢) انظر: الصِّحاح لِلجوهَرِيّ (٥/ ٢١٣٨).

الشَّرْعِ: الكتابُ والسُّنَّةُ، أَي: القُرْآنُ وَالحَدِيثُ(١).

وقال ابنُ منظورٍ: وَفِي حَدِيثِ المَجُوسِ: «**سُنُّوا بِهِمْ سُنَّةَ أَهلِ الكِتَابِ**»(٢) أَي: خُذُوهُمْ عَلَىٰ طَرِيقَتِهِمْ وأَجْرُوهم فِي قَبُولِ الجِزْيَةِ مُجْراهم(٣).

وقال الفيروزآبادي: والأَصل فيها الطريقة والسيرة، ومنه قوله ﷺ: «**مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَة**»(٤)، أَي: طَرَّق طريقةً حَسَنة(٥).

المعنى الثاني من معاني السُّنَن في اللغة: القانونُ والحُكْمُ الثابت.

قال ابنُ منظور: وسُنَّةُ اللهِ: أَحكامه وأَمره وَنَهْيُهُ(٦).

وقال ابنُ كثيرٍ: وَقَوْلُهُ: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ﴾ [الأحزاب:٣٨] أَيْ: هَذَا حُكْمُ اللهِ فِي الأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ(٧).

---

(١) انظر: لِسانَ العَرب لابنِ مَنظور (١٣/ ٢٢٥).

(٢) رَواهُ مالكٌ في موطَّئه: كِتَابُ: الزَّكَاةِ، بابُ: جِزْيَةِ أَهْلِ الكِتَابِ وَالمَجُوسِ، (رقم٩٦٨) وعبد الرزاق في مصنفه: كِتَابُ: أَهْلِ الكِتَابِ، باب: أَخْذُ الجِزْيَةِ مِنَ المَجُوسِ، (رقم١٠٠٢٥) وابن أبي شيبة في مصنفه: كِتَابُ: الزَّكَاةِ، باب: فِي المَجُوسِ يُؤْخَذُ مِنْهُمْ شَيْءٌ مِنَ الجِزْيَةِ، (رقم١٠٧٦٥) والبيهقي في السنن الكبرىٰ: كِتَابُ: الجِزْيَةِ، بابُ: المَجُوسُ أَهْلُ كِتَابٍ وَالجِزْيَةُ تُؤْخَذُ مِنْهُمْ، (رقم١٨٦٥٤) عن عبد الرحمن بن عوفٍ ﷺ، وضعفه الألباني في إرواء الغليل (رقم١٢٤٨).

(٣) انظر: لِسانَ العَرب لابنِ مَنظور (١٣/ ٢٢٥).

(٤) رَواهُ مُسْلِمٌ في صَحِيحِهِ: كِتَابُ: الزَّكَاةِ، بابُ: الحَثِّ عَلَىٰ الصَّدَقَةِ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، أَوْ كَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ وَأَنَّهَا حِجَابٌ مِنَ النَّارِ، (رقم١٠١٧) عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ ﷺ.

(٥) انظر: بصائِرَ ذوي التَّمييزِ للفيروزآبادي (٣/ ٢٦٧).

(٦) انظر: لِسانَ العَرب لابنِ مَنظور (١٣/ ٢٢٥).

(٧) انظر: تفسير ابن كثير (٦/ ٤٢٧).

قال الرازي: وَأَمَّا السُّنَّةُ فَهِيَ الطَّرِيقَةُ المُسْتَقِيمَةُ وَالمِثَالُ المُتَّبَعُ(١).

وقال رشيد رضا: السُّنَنُ جَمْعُ سُنَّةٍ، وَهِيَ الطَّرِيقَةُ المُعَبَّدَةُ وَالسِّيرَةُ المُتَّبَعَةُ أَوِ المِثَالُ المُتَّبَعُ، قِيلَ: إِنَّهَا مِنْ قَوْلِهِمْ: سَنَّ المَاءَ إِذَا وَالَى صَبَّهُ، فَشَبَّهَتِ العَرَبُ الطَّرِيقَةَ المُسْتَقِيمَةَ بِالمَاءِ المَصْبُوبِ، فَإِنَّهُ لِتَوَالِي أَجْزَائِهِ عَلَىٰ نَهْجٍ وَاحِدٍ يَكُونُ كَالشَّيْءِ الوَاحِدِ(٢).

وقال أحمد مختار: سُنَّة الطَّبيعة: قانونُها وناموسُها(٣).

وتأتي بمعنىٰ: القانون الماضي في الخلق(٤)، إذا أُضيفَتْ إلىٰ الله ﷻ، كما قال تعالىٰ: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٣].

المعنى الثالث من معاني السُّنَن في اللغة: البيان.

قال ابن منظور: وسَنَّها اللهُ لِلنَّاسِ: بَيَّنها، وسَنَّ اللهُ سُنَّة أَي بَيَّن طَرِيقًا قَوِيمًا. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ﴾ [الأحزاب:٦٢]؛ نَصَبَ سُنَّةَ اللهِ عَلَىٰ إِرادة الفِعْلِ، أَي سَنَّ اللهُ ذَلِكَ فِي الَّذِينَ نَافَقُوا الأَنبياءَ وأَرْجَفُوا بِهِمْ أَن يُقْتَلُوا أَين ثُقِفُوا، أَي وُجِدُوا.(٥).

وعلىٰ ضوءِ ما سبقَ: فإن لفظةَ «السُّنَنِ» وما تصرفَ منها تَدُلُّ في اللُّغةِ علىٰ: القانون، والحُكم الثابتِ، والطرق المحددة الواضحة البينة، المتكرِّرة والمتتابعة علىٰ نسقٍ واحدٍ.

(١) انظر: مَفاتيح الغَيْب للرّازيّ (٩/ ٣٦٩).

(٢) انظر: تفسير المَنار لِمحمد رشيد (٤/ ١١٥).

(٣) انظر: مُعْجَم اللُّغة العربية المعاصر (٢/ ١٢٢).

(٤) انظر: التَّحرير والتَّنوير لابن عاشور (٤/ ٩٧).

(٥) انظر: لِسانَ العَرَبِ لابنِ مَنظور (١٣/ ٢٢٥).

◆ ثانيًا: تعريف سُنَنِ اللهِ شرعًا:

للسُّنَنِ والسُّنَّةِ عدَّةُ تعريفاتٍ عند علماءِ الشريعةِ، فالسُّنَّةُ عند علماء العقيدَةِ تُطلقُ علىٰ ما يُقابل البدعةَ(١)، والسُّنَّةُ عند علماء الحديثِ والمصطلح: ما أُضيفَ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ منْ قولٍ أو فِعلٍ أو تَقريرٍ أو وصْفٍ(٢)، والسُّنَّةُ عند علماء الفقه وأصولِهِ مُرادِفٌ لِلفظَتَيْ: المندوب والـمُستحبِّ، وهو: ما طَلَبَ الشَّارعُ فِعلَهُ لا علىٰ وجهِ الإلزامِ(٣).

ويُلاحَظُ في كُل ما سبقَ: أنَّ علماء العقيدةِ وعُلماءَ الفقه وأصولِهِ يُطلقونَ السُّنَّةَ في الغالب بدونِ إضافةٍ إلىٰ لفظةٍ أُخرىٰ، إمَّا بالتعريفِ أو التنكير، وعلماء الحديثِ والمصطلح يُطلقونها إما مُفردَةً أو مُضافةً إلىٰ النبيِّ ﷺ.

والسنة الـمَقصودَةُ في هذا البحث هي: السُّنَّةُ التي تُضافُ إلىٰ لفظِ الجلالةِ: (سُنَّةُ الله) و(سُنَنُ اللهِ)، أو توصَفُ بوصفِ: السُّنَنِ الإلهية أو السُّنَنِ الربانية أو السُّنَنِ الكونية ونحوها، وخَلَصْتُ إلىٰ تَعريفِها بأنها:

القوانينُ الـمُطَّرِدَة التي وضعها اللهُ لِنفْسِهِ وعلىٰ مخلوقاتِهِ، الـمَقطوعُ بِتَحَقُّقِها ما لم يَعرِض لها مانعٌ.

◆ شرح التعريف:

القوانين: جمعُ قانون، وهو: أَمْرٌ كُلِّيٌّ يَنْطَبِقُ علىٰ جَمِيعِ جُزْئِيَّاتِه الَّتِي تَتَعَرَّف

(١) انظر: السُّنَّة لابن أبي عاصم (٢/ ٦٤٥)، فَتاوَىٰ ابنِ تَيْمِيّة (٢٨/ ١٧٨).
(٢) انظر: المختَصَر في أُصولِ الحديثِ للجرجاني (ص٤٠)، مُصْطَلح الحديث لابن عثيمين (ص٥).
(٣) انظر: كشف الأسرار لِعلاءِ الدِّين البخاري (٢/ ٣٠٢)، المحصول لِلرّازي (١/ ١٠٣).

أَحْكامَها مِنْهُ[1]، فسُنن الله ﷻ أمورٌ كُلِّيةٌ منضبطةٌ تقعُ علىٰ جُزئياتِها، فاللهُ جعلَ خلْقَ الكائناتِ الحيَّةِ من ماءٍ، فهذا قانونٌ لا يوجدُ مخلوقٌ حيٌّ إلا وقد خُلِقَ من ماءٍ، وقانونُ فناءِ كُلِّ مَنْ في الأرضِ، وإثابةُ الـمُحسنِ ومُعاقبةُ الـمُسيءِ جعلهما اللهُ قانُونَيْنِ عامَّيْنِ لكل الـمَخلوقاتِ.

الـمُطَّردة: أي: مُتتابعةٌ جاريةٌ علىٰ نَسَقٍ واحدٍ، وكل شَيْء اتَّبَعَ بعضُه بَعْضًا فقد اطَّرد، واطَّرَدَ الشَّيْءُ اطِّرَادًا إِذَا: تَابَعَ بَعْضُهُ بَعْضًا، وأمرٌ مُطَّرِدٌ: مُسْتَقِيم علىٰ جِهته[2].

المقطوع بِتَحَقُّقِها ما لم يَعرض لها مانع: أيْ أنَّها لا بُدَّ أن تتحقَّق وتقع هذه السُّنَنُ ويتحقَّق ما رتَّبَه ﷻ عليها، مِن الجزاءِ والنَّتائج، وقد جعلَ ﷻ لبعض السُّنَنِ عوارضَ وموانع، فإذا ثبتَ المانِعُ انتفىٰ وقوعُ السُّنَّةِ، مثل: أن يتوبَ الظالمُ فتنتفي عنه سُنةُ الإهلاكِ، أو يعصي الصالِحُ فتنتفي عنهُ سُنةُ النصر.

وجعل اللهُ ﷻ غالبَ سننِهِ: مطَّردَة بشكلٍ عامٍّ، وجعل بعضَها مطَّردَة بشكلٍ أغلبيٍّ، أي: جعلَ من طبيعةِ هذه السُّنَّةِ أنَّها سُنَّة أغلبيَّة، ولم أجدْ من قال: إن هناك سُنَنًا أغلبيَّةً، فكل من وقفتُ عليهِ يذكرُ أنها سُنَنٌ مطَّرِدَةٌ عامَّةٌ، وهذا هو الصحيح بالنسبةِ لأغلب السُّنَنِ التي وضعها اللهُ ﷻ في الكونِ والخلقِ، ولكنه ﷻ وضعَ سُنَنًا أغلبيَّةً، ولهذه السُّنَنِ الأغلبيَّةِ عدةُ أمثلةٍ أذكرُ منها مثالَيْنِ:

---

(١) انظر: التَّعريفات للجُرجاني (ص١٧١)، التَّوقيف علىٰ مُهِمّات التَّعاريف للمناوي (٢٦٦)، الكُلّيات لِأبي البَقَاء (ص٧٣٤).

(٢) انظر: جَمْهَرَة اللُّغة لابن دريد (٢/ ٦٣١)، لِسانَ العَربِ لابنِ مَنظور (٣/ ٢٦٨)، تهذيب اللُّغة لِلأزهريّ (١٣/ ٢١٣)، الصِّحاح لِلجَوهري (٢/ ٥٠٢)، مَقاييس اللُّغة لابْنِ فارِس (٣/ ٤٥٥).

المثال الأوَّل: أنَّ مِنْ سُنَنِ الله ﷻ: أنَّ الملأَ وأشرافَ الناسِ وأغنياءَهم وأثرياءَهُم، هم أكثرُ الناسِ بُعدًا عن قبولِ دينِ اللهِ ﷻ، وقد وردَ هذا المعنىٰ في قصصٍ كثيرةٍ في القرآنِ الكريمِ، ولكنْ هل يُقالُ: إنَّ هذه سنةٌ مطردةٌ عامَّةٌ؛ فلا يتبعُ الأنبياءَ إلا الفقراءُ؟ بلىٰ، ولذا فإن النبيَّ ﷺ تبعَهُ أبو بكرٍ الصديق رضي الله عنه وحكيمُ بن حزام رضي الله عنه وهما من أشرافِ قريشٍ وأثريائهم، والأقرعُ بن حابس رضي الله عنه التميمي وهو مِنْ ساداتِ العرب، والطُّفيلُ بن عمرو الدوسي رضي الله عنه وهو مِنْ ساداتِ اليمن، وسعدُ بنُ عُبادةَ سيد الخزرج رضي الله عنه، وسعدُ بنُ معاذٍ سيد الأوس رضي الله عنه، فكلُّ هؤلاءِ دخلوا في دينِ اللهِ وهُم من المَلأ وعِلْيةِ القومِ.

المثال الثاني: سنةُ أنَّ أكثر الناسِ يقعون في الكفر، كما دل عليه قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣]، ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦] وهذا ما يُصدِّقه التاريخ والواقعُ، وما أخبر به النبيُّ ﷺ إلىٰ قيام الساعة.

وفي البحثِ: أربعُ سُنَنٍ أغلبيَّةٍ، تمَّ بيانُها في موضِعها.

المطلب الثاني:
أنواع سُنَنِ اللهِ ﷻ

◆ أولًا: السُّنَنُ الطبيعية:

وهي: القانون الذي وَضَعَهُ اللهُ لنفسِهِ، وقدَّره علىٰ جميع مخلوقاتِهِ.

ويُطلق عليها: السُّنَنُ الإلهيَّة، والكونيَّة، والقدريَّة، وسُنَنُ الآفاق، وسُنَنُ الله في نظام الكون.

والسُّنَنُ الطبيعية ثلاثة أنواع:

١- سُنَنٌ إلهية وضعها الله لنفسهِ مُطلقًا: مِثل: العدل، والصدق، والحكمة، والاستئثار بعلم الغيبِ، ويدخُلُ فيها كُلُّ أسماءِ اللهِ وصفاتِهِ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا رَوَىٰ عَنِ اللهِ ﷻ، أَنَّهُ قَالَ: «**إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسِي**»(١).

٢- سُنَنٌ إلهية وضعها الله لنفسه علىٰ: الكونِ مُطلقًا وعلىٰ الجماداتِ: مِثل: تَقْليبِ الليلِ والنهارِ، وطلوعِ الشمسِ والقمرِ، وحركةِ الكواكبِ والنُّجومِ، وتسبيحِ المخلوقاتِ.

٣- سُنَنٌ إلهية وضعها الله لنفسه علىٰ: كُلِّ ذِي رُوحٍ من المخلوقاتِ: مثل: البَعْثِ بعدَ الموتِ، وخلق كُلِّ ذي روحٍ من زوجين اثنين، والرزق(٢).

---

(١) رَواهُ مُسْلِمٌ في صَحِيْحِهِ: كِتَابُ: البِرِّ وَالصِّلَةِ وَالآدَابِ، بابُ: تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، (رقم:٢٥٥٧).

(٢) والرِّزْقُ له نوعان: الأولُ: أنَّ الأصلَ في الرِّزْقِ أنهُ مكتوبٌ ومُقدَّرٌ لجميعِ المخلوقاتِ ليسَ لِمكلفٍ فيه سببٌ، والنوع الثاني: رِزْقٌ يأتي بسببٍ وهو البركةُ فيهِ وكثرتُهُ، فهذا مُسبِّبه الإيمانُ والتَّقْوىٰ، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦] ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

وتتميَّز هذه السُّنَنُ بأنها: خارجةٌ عن إرادَةِ الإنسانِ، وأنها عامَّةٌ وليس فيها سُنَّةٌ أغلبيَّةٌ.

◆ ثانيًا: السُّنَنُ الدِّينيَّة:

وهي: القانون الذي وَضَعَهُ اللهُ لِنفسهِ في معاملَتِهِ للمكلَّفين.

ويُطلق عليها: السُّنَنُ الشرعيَّة، والرَّبَّانيَّة، والاجتماعيَّة، وسننُ الأَنْفُس.

والسُّنَنُ الدينية نوعان:

١- سُنَنٌ وُضعَت للمكلَّفين، وليس لهم فيها إرادةٌ أو يدٌ أو تسبُّبٌ:

وهي: القانون الذي وَضَعَهُ اللهُ للمكلَّفين مُطلقًا.

مثل سُنَّةِ: الابتلاء، والاستدراج، والإمهال، والمداولة، والتسخير، والتمييز بين الخبيث والطيب، ونصر المظلوم، وعدم هداية كيدِ الخائنِ، ومجيء اليُسر مع العُسر، وسنة إقامةِ الحجةِ بإرسالِ الرُّسُل، والتدافع بين الحق والباطل، ونحو ذلك.

٢- سُنَنٌ وضعت للمكلفين وجُعِلَ لها سببٌ، إن أُخِذَ به حصلَ المُسبَّب وإلا فلا.

وهي: القانونُ الذي وَضَعَهُ اللهُ للمكلَّفين، وجَعَلَ لهُ سببًا، فمن أخذ به انطبقَ عليهِ، ومَنْ تركه لم ينطبقْ عليه.

مثل سُنَّةِ: النصر لِمن طاع اللهَ، والهزيمة لمن عصاه ﷺ، وإعطاء الشاكر ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]، وتعذيب الكافر ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]، والاستبدال ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨]،

والتغيير ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الرعد: ١١]، والاتحاد قوة والتفرق ضعف، والتدرج لحصول المقصود، والاصطفاء(١)، وإثابة المطيع ومُجازاة العاصي ﴿مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣].

وتتميز السُّنَنُ الدينيَّة بعدَّةِ ميزاتٍ:

الأولىٰ: أنها في نطاق تأثيرِ الإنسانِ وتكليفِه، بل هو مأمورٌ بالأخذِ بها، وليست خارجةً عن إرادَةِ الإنسانِ كما في السُّنَنِ الطبيعية.

الثانية: أنَّ منها ما هو قطعيُّ الثبوتِ ومنها ما هو أغلبيٌّ، كما سبق تقريره في شرح التَّعريفِ.

الثالثة: أنَّ مِن السُّنَنِ ما له نتيجةٌ واحدةٌ، وذلك مثل سنة: الاستبدال، ومنها ما له عدة نتائج، لابد من وقوع أحدِها حسب ما تقتضيه حكمة الله ﷻ، وبعض هذه العقوبات قد تترجح بمرجحات، كمن انتشرت عندهم الفواحش فيترجح معاقبتهم بالأمراض التي لم تكنْ فيمَنْ قبلَهُم، كما وردَ في حديثِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «**يَا مَعْشَرَ المُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرِ الفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ، حَتَّىٰ يُعْلِنُوا بِهَا، إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ، وَالأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضَوْا...**»(٢)، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوۡ تَحُلُّ قَرِيبٗا مِّن دَارِهِمۡ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ وَعۡدُ

(١) الاصطفاء بالنسبة للأنبياءِ، ليس لهم فيه إرادةٌ وتسبُّب، وبالنسبة لبقية الناسِ فيه إرادةٌ وتسبُّبٌ، فمَن عبد اللهَ وأصلح عمله واجتهد في عبادته وإخلاصِه، اصطفاه ﷻ.

(٢) رواهُ ابنُ ماجَةَ في سُنَنِه، كِتَابُ الفِتَنِ، بَابُ العُقُوبَاتِ، (رقم٤٠١٩)، وصحَّحَهُ الألبانيُّ في السلسلة الصحيحة (١/ ٢١٦).

﴿ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ [الرعد: ٣١] قال الطبريُّ: وَلَا يَزَالُ يَا مُحَمَّدُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِكَ تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا، مِنْ كُفْرِهِمْ بِاللهِ، وَتَكْذِيبِهِمْ إِيَّاكَ، وَإِخْرَاجِهِمْ لَكَ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ قَارِعَةٌ، وَهِيَ مَا يُقْرِعُهُمْ مِنَ البَلَاءِ وَالعَذَابِ وَالنِّقَمِ، بِالقَتْلِ أَحْيَانًا، وَبِالحُرُوبِ أَحْيَانًا، وَالقَحْطِ أَحْيَانًا، أَوْ تَحُلُّ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ، يَقُولُ: أَوْ تَنْزِلْ أَنْتَ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ بِجَيْشِكَ وَأَصْحَابِكَ(١).

وكذلك نتائج سُنَّةِ الكفر والتكذيب، إمَّا أن تكونَ بالإهلاكِ، أو الإذلال، أو الإغراق، أو الابتلاء بالفقر، أو الابتلاء بالمرض، أو تجتمع كلها أو بعضها، حسب ما تقتضيه حكمةُ الله ﷻ.

هل للسُّنَنِ الطبيعية والدينية موانعُ وعوارِض؟

نعم، ما عدا ما يتعلَّقُ بصفاتِ اللهِ ﷻ، فكل سنةٍ كونيَّةٍ وشرعيَّةٍ قد يعرِضُ لها مانعٌ أو عارِضٌ، فمِنْ سُنَنِ اللهِ الكونيةِ: جريانُ الشمسِ بوقتٍ دقيقٍ لا تتقدمُ عليهِ ولا تتأخرُ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [يس:٣٨] ولكن عرَضَ لها عارِضٌ فحبسها اللهُ لنبيِّه يوشع، وذلك في حديثِ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، والشاهد فيه قولُهُ ﷺ: «**فَغَزَا فَأَدْنَىٰ لِلْقَرْيَةِ حِينَ صَلَاةِ العَصْرِ، أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لِلشَّمْسِ: أَنْتِ مَأْمُورَةٌ، وَأَنَا مَأْمُورٌ، اللهُمَّ، احْبِسْهَا عَلَيَّ شَيْئًا، فَحُبِسَتْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ**»(٢). وكذلك ما يَعرِضُ لأحوالِ الطقسِ مِن السيولِ والأمطارِ وإنبات الأرض، بفعلِ الطَّاعاتِ وصلاةِ الاستسقاءِ، وما يعرضُ كذلك لأحوالِ الطقسِ من الجدْبِ والقحطِ، بِفعل المعاصي وانتشارِ المنكراتِ والفواحش.

---

(١) انظر: جامع البَيانِ للطَّبريّ (١٣/ ٥٣٩).

(٢) رَواهُ مُسْلِمٌ في صَحِيْحِهِ: كِتَابُ: الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بابُ: تَحْلِيلِ الغَنَائِمِ لِهَذِهِ الأُمَّةِ خَاصَّةً، (رقم:١٧٤٧).

وقد يَعرِضُ للسُّنة الشرعيةِ عارِضٌ أو مانعٌ، فلا تنطبق تِلك السُّنَّةِ لوجودِ مانعٍ، ومثالُه: مِنْ سُنَنِ اللهِ: نصرُ أوليائِهِ، ولكن لم يتحقَّق النصرُ لنبينا محمدٍ ﷺ وصحابتِهِ الكرامِ في غزوةِ أُحدٍ؛ وذلك لِمُخالفتِهِم اللهَ ورسولَهُ ﷺ.

ولذا نستنتجُ أنَّ السُّنَنَ الدينية والاجتماعية تُؤثِّرُ في السُّنَنِ الطبيعية في القسمين الثاني والثالث منها، وأما القسم الأول: وهي السُّنَنُ التي وضعها الله لنفسه مطلقًا فلا يستطيعُ أحدٌ أن يُؤثِّرَ فيها شيئًا، وذلك أنَّ الله ﷻ يقول: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مِّنۡهُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١٣]، ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ دَآئِبَيۡنِۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ [إبراهيم: ٣٣] فكُلُّ ما في الكونِ، وكُلُّ ما خلقَ اللهُ ﷻ إنَّما هو لأجلِ الـمُكلَّفينَ من الإنسِ والجِنِّ، فلا غرابةَ أن تكونَ السُّنَنُ الدينية والاجتماعيَّة مُؤثرةً في السُّنَنِ الطبيعية والكونية التي وضعها اللهُ في الكونِ وجعلها مُسخَّرةً للإنسان.

قال ابنُ تيمية -بعد أن تكلم عن السُّنَنِ الشرعية وأدلتها-: فَهَذِهِ كلهَا تتَعَلَّق بأوليائه كمطيعيه، وعصاته كالمؤمنين والكافرين، فسنته فِي هَؤُلَاءِ إكرامهم، وسنته فِي هَؤُلَاءِ إهانتهم وعقوبتهم.. وَهَذِه السُّنَنُ كلهَا سنَن تتَعَلَّق بِدِينِهِ وَأمره وَنَهْيه، ووعده ووعيده، وَلَيْسَت هِيَ السُّنَنَ الْمُتَعَلّقَة بالأمور الطبيعية كسنته فِي الشَّمْس وَالقَمَر وَالكَوَاكِب وَغير ذَلِك من العَادَات، فَإِن هَذِه السُّنَّة ينقضها إِذا شَاءَ بِمَا شاءه من الحِكم، كَمَا حبس الشَّمْس علىٰ يُوشَع، وكما شقَّ القَمَر لـمُحَمد ﷺ، وكما مَلأ السَّمَاء بِالشُّهُبِ، وكما أَحْيَا المَوْتَىٰ غير مرَّة، وكما جعل العَصَا حَيَّةً، وكما أنبع المَاء من الصَّخْرَة بعصًا، وكما أنبع المَاء من بَين أَصَابِع الرَّسُول ﷺ(١).

(١) انظر: جامع الرسائل لابنِ تَيمِيَّة (١/ ٥٠).

المطلب الثالث:
سُبلُ معرفةِ السُّنَنِ وفوائدُ معرفَتِها

◆ أولًا: سُبُلُ وطُرُقُ معرفةِ السُّنَنِ:

١- **النصُّ عليها بأنها سُنَّةٌ**، وقد جاءت لفظة السُّنَّةِ في: (١٦) موضعًا من القرآنِ، (٩) صِيغ أُضيفَتْ للفظِ الجلالةِ، و(٥) صيغ أُضيفَتْ إلىٰ الأولين، وصيغة واحدةٌ أُضيفَتْ إلىٰ الرسل، وصيغة واحدةٌ جاءت نكرةً بلا إضافةٍ.

ونذكر مثالًا واحدًا لذلك: قال تعالىٰ: ﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [غافر: ٨٥].

٢- **ربطُ الأسباب بالـمُسببات والـمُقدمات بالنتائج**، قال ابن تيمية: فَلَيْسَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ شَيْءٌ إلَّا بِسَبَبٍ، وَاَللَّهُ خَالِقُ الأَسْبَابِ وَالْمُسَبَّبَاتِ[(١)]. قال تعالىٰ في سنة الإهلاك: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [هود: ١١٣]، ﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى﴾ [طه: ٨١]، ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١].

٣- **ذِكرُ عملٍ مُعينٍ وما يترتَّبُ عليهِ، بأسلوبِ الشرطِ وجوابِهِ**، قال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤]، وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟

(١) انظر: فَتاوَىٰ ابنِ تَيْمِيّة (٨/ ٧٠).

إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٧]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

٤- **ذكرُ الجزاءِ علىٰ عملٍ مُعينٍ**، كقوله تعالىٰ: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ تَبُوٓأَ بِإِثۡمِي وَإِثۡمِكَ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٢٩]، وقوله تعالىٰ: ﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [المائدة: ٨٥].

٥- **ذِكرُ المُقتضي للحُكمِ أو ذكر الحُكمِ المَانعِ منه**، كقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ﴾ [الإسراء: ٥٩].

٦- **وُرودُ فعلِ اللهِ مع تعليلِهِ**، كقوله تعالىٰ: ﴿وَرَفَعَ بَعۡضَكُمۡ فَوۡقَ بَعۡضٖ دَرَجَٰتٖ لِّيَبۡلُوَكُمۡ﴾ [الأنعام: ١٦٥]، ﴿وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا ١٦ لِّنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِ﴾ [الجن: ١٦-١٧]، ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡقُرَىٰٓ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡ لَمَّا ظَلَمُواْ﴾ [الكهف: ٥٩]، ﴿فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡ فَأَغۡرَقۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٦].

٧- **الإخبارُ بصفةٍ علىٰ وجهِ العُموم والاطِّراد**، وغالبًا ما يكونُ في صفات الله تعالىٰ، كالعدل والصدقِ، والحكمةِ، والعلمِ، والعزةِ، والمغفرةِ، والرحمةِ، ونحوها، كقوله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا﴾ [النساء: ١٧]، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء: ٩٦]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ ٱلنَّاسَ شَيۡـٔٗا وَلَٰكِنَّ ٱلنَّاسَ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [يونس: ٤٤].

٨- **القياسُ والتَّشبيهُ**، وذلك بقياسِ حالةٍ بحالةٍ، أو صورةٍ بصورةٍ، قال تعالىٰ: ﴿لَقَدۡ كَانَ فِي قَصَصِهِمۡ عِبۡرَةٞ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [يوسف: ١١١]، قال ابنُ تيمية: وإنَّما تكونُ العبرةُ بِهِ بالقياسِ والتَّمثيلِ(١).

(١) انظر: النبوات لابنِ تَيْمِيَّة (٢/ ٩٦٣).

قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٥٣ كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَۚ وَكُلّٞ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ [الأنفال: ٥٣-٥٤]، وقال تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٦ ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ١٧ كَذَٰلِكَ نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [المرسلات: ١٦-١٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ٣٠ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ﴾ [غافر: ٣٠-٣١].

قال ابن تيمية: وَمن هَذَا البَاب صَارَت قصَص المُتَقَدِّمين عِبْرَةً لنا، وَلَوْلَا القيَاس واطِّرادُ فعلِهِ وسُنَّتِهِ لم يَصحَّ الاعتبار بهَا، والاعتبارُ إِنَّمَا يكون إِذا كَانَ حُكْمُ الشَّيْء حُكمَ نَظِيره كالأمثال المضروبة فِي القُرْآن(١).

وقال ابنُ الأثير: فَإِنَّهُ لَا يَحْدُثُ أَمْرٌ إِلَّا قَدْ تَقَدَّمَ هُوَ أَوْ نَظِيرُهُ(٢)، وقال ابن الجوزي: ﴿كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ﴾ [الأنفال:٥٢] أي: كعادتهم: والمعنىٰ: كذَّب هؤلاء كما كذَّب أولئك، فنزل بهم العذاب كما نزل بأولئك(٣).

٩- الأمرُ بِالاتِّعاظِ والاعتبارِ بأحوالِ التَّاريخِ والأُممِ السابِقَةِ، قال تعالىٰ: ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١٣٧ هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧-١٣٨]، وقال تعالىٰ: ﴿فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، وقال مقاتل: في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنۡ أَخۡرِجۡ قَوۡمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرۡهُم بِأَيَّٰمِ

(١) انظر: جامع الرسائل لابنِ تَيْمِيَّة (١/ ٥٥).
(٢) انظر: الكامل في التاريخ لابنِ الأثير (١/ ١٠).
(٣) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (٢/ ٢١٨).

ٱللَّهِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾ [إبراهيم: ٥] بوقائع الله في الأُمَمِ السَّالِفَةِ، يُقَالُ: فُلَانٌ عَالِمٌ بِأَيَّامِ العَرَبِ، أَيْ بِوَقَائِعِهِمْ، وَإِنَّمَا أَرَادَ بِمَا كَانَ فِي أَيَّامِ اللهِ مِنَ النِّعْمَةِ وَالمِحْنَةِ(١).

◆ ثانيًا: فوائد معرفة السُّنَنِ:

١- أخذُ العِظَةِ والعِبْرةِ من التاريخ وما وقع للأمم السابقة، وذلكَ أنَّ السننَ متكرِّرة ومستمرة إلىٰ قيام الساعةِ، وقد خُتِمَتْ كثيرٌ من قصصِ القرآنِ بأخذ العِظَةِ والعِبْرةِ، والابتعادِ عمَّا وقعوا فيه من السُّنَنِ المُهلكة.

٢- الأَخْذُ بالسُّنَنِ المؤديةِ للفلاحِ والقوةِ، وهذه ثمرةٌ من ثمراتِ معرفةِ السننِ التي وضعها اللهُ لعبادِهِ، بأَنْ يتمسَّكَ بها المسلم، ويأخذ بها، كالصبرِ والحرص علىٰ الاجتماعِ ونبذ التفرُّق، ونحوها، ففيها السعادةُ والصلاحُ والقوةُ والفوزُ في الدنيا والآخرة.

٣- تجنُّبُ السُّنَنِ المؤدية للخسارِ والهلاكِ، لكي لا يقع المسلم والأمة الإسلاميةُ بما وقعَ به مَنْ قَبْلهم من أسبابِ الهلاكِ والدمارِ، والهزيمةِ والخسارِ، كتكذيبِ الرسلِ والظلمِ والطغيانِ والإسرافِ، فكلُّ ما وقع عليهم من ذلك بسببِ وقوعِهِم في تلك السننِ التي لا تحابي أحدًا ولا تجورُ عليه، والعاقل من وُعِظَ بغيرِهِ.

٤- أن اللهَ سبحانه وَضَعَ سُنَنًا وقوانينَ له ﷻ ولمخلوقاتِهِ، وأن كل شيءٍ يسيرُ بنظامٍ دقيقٍ ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

(١) انظر: معالِم التَّنزيل للبَغويّ (٣/ ٣٠).

٥- الاستدلالُ بالسُّنَنِ علىٰ ما سيكونُ في المستقبلِ، قال ابن تيمية: وأمَّا الاستدلالُ بِسُنَّتِهِ وعادتِهِ، فهو أيضًا طريق برهاني ظاهرٌ لجميع الخلق وهم متفقون عليه(١).

(١) انظر: النبوات لابنِ تَيْمِيَّة (٢/ ٩٥٨).

المبحث الثاني

السُّنَنُ المُسْتَنْبَطَةُ مِن قِصَّةِ موسى وبني إسرائيل

وفيه ستَّةُ مطالبَ:

المَطْلَبُ الأوَّلُ:
السُّنَنُ المُتَعَلِّقَةُ بالله ﷻ

◆ ١- الألوهية الكاملة التَّامَّةُ لله الذي يملكُ العِلْمَ التَّامَّ الكاملَ:

وذلك في قول الله علىٰ لسانِ موسىٰ في نصحه لقومه حينما عبدوا العِجل: ﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىۡءٍ عِلۡمًا﴾ [طه: ٩٨] فالله ﷻ أثبت لنفسه الألوهية؛ حيث خُتِمَتْ الآية بأنه الذي أحاط بكل شيءٍ علمًا، فليس لأحدٍ أن يدعي الألوهيَّة وليس عنده علمُ كلِّ شيءٍ، كما دَلَّتْ الآيَةُ علىٰ هذه الصفةِ والسُّنَّةِ الربانية.

◆ ٢- القضاء والقدر:

﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف: ١٣١] كان بنو إسرائيل يتشاءمون بموسىٰ فيما يصيبهم من شرٍّ وقحطٍ، فأخبرهم اللهُ أنَّ طائرهم -أي: حظُّهم الذي قضاهُ اللهُ تعالىٰ لهم من الخير والشر[(١)]- عنده سبحانه أي: بقضائه وتقديره. ﴿قَالَ عَذَابِيٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنۡ أَشَآءُۖ وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا

(١) انظر: التبيان في تفسير غريب القرآن لابن الهائم (ص١٦٩).

لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦] دَلَّتْ الآيتان عَلَىٰ أَنَّ مِنْ سُنَنِ اللهِ أنه: قَدَّرَ كل شيء وقضاهُ قبل أن يخلق السماوات والأرض، فكلُّ ما يُصيبُ الناسَ من خيرٍ وشرٍّ، إنَّما هو بقَدَرِ اللهِ ﷻ، وقد كتبه الله عنده في اللَّوحِ المحفوظِ.

◆ ٣- الإيفاء بالوعد، وحلول الغضب على مَن يُخلف وعدَه ﷻ:

﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ﴾ [البقرة: ٤٠] دَلَّتْ هذه الآيةُ: عَلَىٰ أَنَّ مِنْ سُنَّةِ الله تعالىٰ الإيفاءَ بالوعدِ.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧]، ﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القصص: ١٣] دَلَّتْ هاتان الآياتانِ علىٰ أنَّ الله وعد أمَّ موسىٰ أن يردَّ لها موسىٰ، فردَّه لها ﷻ.

﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۖ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى﴾ [طه: ٨٦] دَلَّتْ هذه الآيةُ عَلَىٰ أَنَّ مِنْ سنته ﷻ حلولَ غضبه علىٰ مَن يُخلفُ وعده.

◆ ٤- الابتلاءُ والاختبارُ:

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٠]، ﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٤٨] ابتلىٰ اللهُ قومَ فرعونَ بالجدْبِ ونقصِ الثمراتِ وبالآياتِ والـمُعجزاتِ؛ وذلك لأجلِ أن يتَّعظوا ويتذكَّروا.

﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨] قال الطبري: يَقُولُ: وَاخْتَبَرْنَاهُمْ بِالرَّخَاءِ فِي العَيْشِ، وَالخَفْضِ فِي الدُّنْيَا، وَالدَّعَةِ وَالسَّعَةِ فِي الرِّزْقِ، وَهِيَ الحَسَنَاتُ الَّتِي ذَكَرَهَا جَلَّ ثَنَاؤُهُ. وَيَعْنِي بِالسَّيِّئَاتِ: الشِّدَّةَ فِي العَيْشِ، وَالشَّظَفَ فِيهِ، وَالمَصَائِبَ وَالرَّزَايَا فِي الأَمْوَالِ، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ يَقُولُ: لِيَرْجِعُوا إِلَىٰ طَاعَةِ رَبِّهِمْ، وَيُنِيبُوا إِلَيْهَا، وَيَتُوبُوا مِنْ مَعَاصِيهِ(١).

﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٣] أخبر الله في هذه الآيةِ أنَّه ابتلىٰ اليهودَ بتحريمِ الصيدِ يومَ السَّبتِ؛ وجعل الحيتانَ تأتي في هذا اليومِ اختبارًا وامتحانًا لهم، وهذه سنته ﷻ في الناس أجمعينَ أنه يبتليهم ويختبرُهم، لِيُمحِّصهم ولِيَعْلَمَ الصَّالحَ والصادقَ منهم، ولِيَعْلَمَ الكافرَ والمنافق، والآيات التي تَدُلُّ علىٰ هذه السنة كثيرة، نكتفي بالاستدلالِ بقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢].

◆ ٥- عدمُ نسيان الله ﷻ:

﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥١-٥٢] دَلَّتْ الآيَةُ عَلَىٰ أَنَّ مِنْ سُنَنِ اللهِ تعالىٰ أنه لا ينسىٰ شيئًا مطلقًا، وأن كلَّ شيءٍ مُسجَّلٌ عنده في كتاب، والمراد به هنا: اللوح المحفوظ(٢).

(١) انظر: جامع البَيانِ للطَّبريّ (١٠/ ٥٣٤).

(٢) انظر: تفسير مقاتل (٣/ ٢٩).

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤] نفىٰ اللهُ عن نفسِهِ الغفلَةَ، والمرادُ بها: التَّركُ عَلَىٰ وَجْهِ السَّهْوِ عَنْهُ وَالنِّسْيَانِ لَهُ(١).

◆ ٦- خلقُ النَّاسِ من الأرضِ وإعادتُهم فيها وبعْثُهم يومَ القيامةِ منها:

﴿۞ مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ﴾ [طه: ٥٥] دَلَّتْ الآيَةُ عَلَىٰ أَنَّ مِنْ سُنَّةِ اللهِ: خلقَ الناسِ مِن الأرضِ، وستكونُ وفاتُهم فيها، وبعْثُهم منها يومَ القيامةِ، وأنَّه لا يستطيعُ أحدٌ أن يعيشَ ويموتَ في غيرها من الكواكبِ كالقمرِ والمرِّيخ.

◆ ٧- إنزالُ الكُتُبِ وإرسالُ الرُّسُلِ؛ لإقامةِ الحُجةِ على النَّاسِ ولأجلِ هدايةِ ورحمةِ المؤمنين بدينِ اللهِ:

﴿وَإِذۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡفُرۡقَانَ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ٥٣]، ﴿وَكَتَبۡنَا لَهُۥ فِي ٱلۡأَلۡوَاحِ مِن كُلِّ شَيۡءٖ مَّوۡعِظَةٗ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ فَخُذۡهَا بِقُوَّةٖ وَأۡمُرۡ قَوۡمَكَ يَأۡخُذُواْ بِأَحۡسَنِهَاۚ سَأُوْرِيكُمۡ دَارَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٥]، ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى ٱلۡغَضَبُ أَخَذَ ٱلۡأَلۡوَاحَۖ وَفِي نُسۡخَتِهَا هُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلَّذِينَ هُمۡ لِرَبِّهِمۡ يَرۡهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤]، ﴿ثُمَّ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِيٓ أَحۡسَنَ وَتَفۡصِيلٗا لِّكُلِّ شَيۡءٖ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٗ لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٤]، ﴿وَءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَٰهُ هُدٗى لِّبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِي وَكِيلٗا﴾ [الإسراء: ٢]، ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى وَهَٰرُونَ ٱلۡفُرۡقَانَ وَضِيَآءٗ وَذِكۡرٗا لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٨]، ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ لَعَلَّهُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٩]، ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَهۡلَكۡنَا ٱلۡقُرُونَ ٱلۡأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدٗى

(١) انظر: جامع البَيانِ للطَّبريّ (٢/ ١٣٩).

وَرَحْمَةَ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [القصص: ٤٣]، جميع هذه الآياتِ تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ مِنْ سُنَّةِ الله وحكمته: إقامةَ الحجَّةِ علىٰ خَلقِهِ، ودلت علىٰ سنةٍ أخرىٰ وهي: أنه ﷻ أرسل الرُّسُلَ وأنزلَ الكُتُبَ لأجلِ هدايةِ أهلِ الطاعةِ والإيمانِ ورحمتِهِم، وقد جُمعت هاتان السُّنتانِ مع بعضهما؛ للحثِّ علىٰ الإيمانِ والطاعةِ؛ ليتشرَّفَ المؤمنُ بأن يكونَ من أهل الهدايةِ والبصيرةِ والتقوىٰ، ولأجلِ أن تشملَهُ رحمةُ اللهِ ومغفرتُه ﷻ.

◆ ٨- استحالةُ رُؤية الله في الدُّنيا:

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴾ [البقرة: ٥٥]، ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، دَلَّتْ الآيتانِ علىٰ أن الله جعل مِنْ سُنَّتِهِ ألا يراه أحدٌ في الدُّنيا، وأنَّ المؤمنين سيرونَ ربَّهم في جنات النعيم.

◆ ٩- عدمُ استطاعةِ أحدٍ أن يضُرَّ اللهَ أو يظلمه، ومن يعمل سوءًا فإنما يضُرُّ نفسَهُ ويظلمها:

﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۚ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾ [البقرة: ٥٧]، قال الطبريُّ: وَكَذَلِكَ رَبُّنَا جَلَّ ذِكْرُهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ عَاصٍ، وَلَا يَتَحَيَّفُ خَزَائِنَهُ ظُلْمُ ظَالِمٍ، وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مُطِيعٍ، وَلَا يَزِيدُ فِي مُلْكِهِ عَدْلُ عَادِلٍ؛ بَلْ نَفْسَهُ يَظْلِمُ الظَّالِمُ، وَحَظَّهَا يَبْخَسُ العَاصِي، وَإِيَّاهَا يَنْفَعُ المُطِيعُ، وَحَظَّهَا يُصِيبُ العَادِلُ(١).

(١) انظر: جامع البَيانِ للطَّبريّ (١/ ٧١٢).

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكۡفُرُوٓاْ أَنتُمۡ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٨]، قال الرازيُّ: مَنَافِعُ الشُّكْرِ وَمَضَارُّ الكُفْرَانِ لَا تَعُودُ إِلَّا إِلَىٰ صَاحِبِ الشُّكْرِ وَصَاحِبِ الكُفْرَانِ، أَمَّا المَعْبُودُ وَالمَشْكُورُ فَإِنَّهُ مُتَعَالٍ عَنْ أَنْ يَنْتَفِعَ بِالشُّكْرِ أَوْ يَسْتَضِرَّ بِالكُفْرَانِ(١).

﴿وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ٣٩ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٣٩-٤٠]، دلَّ نصُّ هذه الآيةِ أنَّ مِنْ سُنَّةِ الله: أنَّهُ لا يظلمُ أحدًا، وما يُصيبُ الخلقَ من ضررٍ أو مُصيبةٍ فبسببِ ظُلمهم لأنْفُسِهم.

◆ ١٠- عدمُ استطاعةِ أحدٍ الإفلاتُ من عقابِ اللهِ وحسابِه:

﴿وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ٣٩ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٣٩-٤٠]، بيَّنَ اللهُ أنَّ من سنته: أنه لا أحدَ يُفلِتُ من حسابِ اللهِ وجزائِهِ، فنفىٰ ﷻ: أن يكونوا سابقينَ أي: فائتين من عذابِ الله(٢).

(١) انظر: مَفاتيح الغَيْب للرّازيّ (١٩/ ٦٧).

(٢) انظر: معالِم التَّنزيل للبَغويّ (٣/ ٥٥٧).

١١- سُنَّةُ المُداولَة:

قال تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، وهذه السنةُ ظاهِرَةٌ في قصةِ موسىٰ وفرعونَ قومِهِ، فقد كانَ بنو إسرائيلَ في ذُلٍّ واستضعافٍ، وفرعونُ وقومُهُ في عزٍّ وقوةٍ، فلما عبر موسىٰ وبنو إسرائيلَ البحرَ صاروا في عزٍّ ورفعةٍ، وأذلَّ اللهُ فرعونَ وقومَهُ بالغرَقِ والسنينَ والجدْبِ، وقدْ دارت الدائرةُ مِن قبلُ علىٰ بني إسرائيل بالذُّلِّ والفقرِ، وكانَ قومُ فرعونَ في عزةٍ وقوةٍ وغِنًىٰ إلىٰ بعثةِ يوسف عليه السلام.

١٢- سُنَّةُ الإمهالِ والاستدراج:

﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ [الأعراف: ١٨٢-١٨٣]، قال الكَفَوِيُّ: الاستدراج: هُوَ أَن يُعْطي الله العَبْدَ كلَّ مَا يُريدهُ فِي الدُّنْيَا؛ لِيَزْدَادَ غيُّه وضلالُه وجهلُه وعنادُه فَيَزْدَاد كلَّ يَوْمٍ بُعدًا من الله تَعَالَىٰ(١). والإمهالُ هو: التأخيرُ، وقد انطبقت هاتانِ السُّنتان علىٰ فرعونَ وملَئِهِ، فقد استدرج اللهُ فرعونَ حتىٰ تمادىٰ في غيِّه وضلالِهِ، حتىٰ ظنَّ في نفسِهِ بما أعطاهُ اللهُ مِن النعمِ والمُلك والقوةِ أنه وصلَ مرحلةَ الألوهيَّةِ، وظنَّ قومُهُ ألَّا أحدَ يُضاهي قوتَهُم ومكانَتَهم، ولا يقدرُ أحدٌ علىٰ الإضرارِ بهم، وأمْهَلَهُم سبحانه وتعالىٰ حتىٰ مكثوا في ذلك سنواتٍ عديدة، وأزمنة مديدة، حتىٰ روي أن فرعونَ عُمِّر: أكثر من أربع مئة سنة(٢)، ثم أهلكه الله سبحانه وتعالىٰ.

---

(١) انظر: الكليات لأبي البقاء (ص١١٣).

(٢) حكاه ابن عطية في المحرر الوجيز (٤/ ٥٥٩) وأبو حيان في البحر المحيط (٩/ ٢٥٦) عن مالك، والرازي في مفاتيح الغيب (٢٢/ ٥٣) والنيسابوري في غرائب القرآن (٤/ ٥٤٧) عن عمرو بن دينار.

◆ ١٣- سُنَّةُ الاختلاف:

مِنْ سُنَنِ اللهِ تعالىٰ في مخلوقاتِهِ أن جَعَلَ بينها اختلافًا في الصفاتِ والأحجامِ والطَّبائعِ والألوانِ ونحو ذلك، قال تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ [الروم: ٢٢]، وهذا الاختلافُ وَضَعَهُ اللهُ في البشرِ في دِياناتِهِم واعتقاداتِهِم وسلوكاتِهِم، قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨-١١٩]، والاختلافُ منه ما هو محمودٌ، ومنه ما هو مذمومٌ(١)، وهو الذي وَرَدَ في بني إسرائيل، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٣]، قال الطبريُّ: وَمَا اخْتَلَفَ فِي الكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَهُ وَهُوَ التَّوْرَاةُ ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ اليَهُودَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَهُمُ الَّذِينَ أُوتُوا التَّوْرَاةَ، وَالعِلْمَ بِهَا، وَالهَاءُ فِي قَوْلِهِ: ﴿أُوتُوهُ﴾ عَائِدَةٌ عَلَىٰ الكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللهُ، ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ يَعْنِي بِذَلِكَ: مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ حِجَجُ اللهِ، وَأَدِلَّتُهُ أَنَّ الكِتَابَ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَفِي أَحْكَامِهِ عِنْدَ اللهِ، وَأَنَّهُ الحَقُّ الَّذِي لَا يَسَعُهُمُ الِاخْتِلَافُ فِيهِ، وَلَا العَمَلُ بِخِلَافِ مَا فِيهِ(٢).

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ﴾ [هود: ١١٠]، قال الطبري: فَإِنَّ الَّذِي

(١) الاختلاف المحمود هو: الاختلافُ الذي يكونُ في فروعِ الدِّينِ التي يسوغُ فيها الاجتهادُ، وما كان مبنيًا علىٰ قواعدِ وأصولٍ منضبطةٍ لا تُخالفُ مقاصدَ الشريعةِ ولا تُعارضُها، وما كانَ القصدُ فيه: اتّباعَ الحقِّ والوصولَ إلىٰ مرضاةِ اللهِ. والاختلاف المذموم هو: الاختلاف الذي يكونُ في العقائدِ وأصولِ الأحكامِ الثابتةِ، وما كانَ فيه معارضَةٌ لمقاصدِ الشريعةِ الإلهية، وما كانَ القصدُ فيهِ: اتِّباعَ الهوىٰ والبغيَ. انظر: الإبانة الكبرىٰ لابن بطة (٢/ ٥٥٧)، منهاج السنة النبوية لابنِ تَيْمِيَّة (٥/ ٢٥٧)، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابنِ تَيْمِيَّة (١/ ١٥٥).

(٢) انظر: جامع البَيانِ للطَّبريّ (٣/ ٦٢٧).

يَفْعَلُ بِكَ هَؤُلَاءِ مِنْ رَدِّ مَا جِئْتَهُمْ بِهِ عَلَيْكَ مِنَ النَّصِيحَةِ مِنْ فِعْلِ ضُرَبَائِهِمْ مِنَ الأُمَمِ قَبْلَهُمْ وَسُنَّةٍ مِنْ سُنَنِهِمْ.. فَاخْتَلَفَ فِي ذَلِكَ الكِتَابِ قَوْمُ مُوسَىٰ، فَكَذَّبَ بِهِ بَعْضُهُمْ، وَصَدَّقَ بِهِ بَعْضُهُمْ، كَمَا قَدْ فَعَلَ قَوْمُكَ بِالفُرْقَانِ مِنْ تَصْدِيقِ بَعْضٍ بِهِ وَتَكْذِيبِ بَعْضٍ[1]، وقال الرازيُّ: لَمَّا أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَىٰ مُوسَىٰ عليه السلام اخْتَلَفُوا فِيهِ فَقَبِلَهُ بَعْضُهُمْ وَأَنْكَرَهُ آخَرُونَ، وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ عَادَةَ الخَلْقِ هَكَذَا[2].

وهذه السنةُ أغلبيَّةٌ، وليست مُطَّردةً علىٰ جميع المكلَّفينَ، كما دلَّ عليها قوله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨-١١٩]، فاستُثنِي من الآيةِ: مَنْ رحمهم اللهُ مِمَّن هداهم وعصَمَهُم من الاختلافِ.

◆ ◆ ◆

المَطْلَبُ الثَّاني:
السُّنَنُ المُتَعَلِّقَةُ بالإيمان

◆ ١٤- الصبرُ سببٌ للإيفاءِ بالوعدِ والتمكينِ في الأرض:

﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧]، قال الزمخشريُّ: ومعنىٰ تَمَّتْ علىٰ بني إسرائيل: مَضَتَ عليهم واستمَرَّتْ، مِنْ قولك: تمَّ عليَّ الأمرُ إذا مضىٰ عليهِ،

(١) انظر: جامع البَيانِ للطَّبريّ (١٢/ ٥٩٢).

(٢) انظر: مَفاتيح الغَيْب للرّازيّ (١٨/ ٤٠٥).

﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ بسبب صبرِهم، وحسْبُكَ به حاثًّا على الصبر، ودالًّا عَلَى أَنَّ مَنْ قابلَ البلاءَ بالجزعِ وكَلَهُ اللهُ إليه، ومَنْ قابَلَهُ بالصَّبْرِ وانتظارِ النَّصْرِ ضَمِنَ اللهُ لهُ الفَرَجَ(١).

وقال القرطبيُّ: ﴿بِمَا صَبَرُوا﴾ أَيْ: بِصَبْرِهِمْ عَلَى أَذَى فِرْعَوْنَ، وَعَلَى أَمْرِ اللهِ بَعْدَ أَنْ آمَنُوا بِمُوسَى(٢).

﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨]، دَلَّتْ هذه الآيةُ على أنَّ الصبر مِنْ أسْبابِ التمكين وحُسن العاقبة.

◆ ١٥- الأَمْنُ لأولياءِ الله:

﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٥-٤٦]، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّا ۖ فَٱذْهَبَا بِـَٔايَٰتِنَآ ۖ إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الشعراء: ١٢-١٥]، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا ۚ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [القصص: ٣٣-٣٥] حينما أمرَ اللهُ موسىٰ وهارونَ أن يدعُوَا فرعونَ، وخافا من دعوتِهِ إلىٰ التوحيدِ بأن يَفْرُطَ فرعونُ أي: يتقدَّمَهم ويسبقهم ويستعجل في الانتقامِ منهم(٣)، طَمْأنهم ونهاهم عن الخوفِ؛ لأنهم من أنبيائه وأوليائِه.

---

(١) انظر: الكشاف للزمخشري (٢/ ١٤٩).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القُرآن للقُرطبيّ (٧/ ٢٧٢).

(٣) انظر: جامع البَيانِ للطَّبريّ (١٦/ ٧٦)، المفردات في غريب القرآن للأصفهاني (ص٦٣١).

﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا۟ ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [طه: ٦٦-٦٨]، ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ﴾ [القصص: ٣١]، ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًۢا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النمل: ١٠-١١]، في هذه الآياتِ نهىٰ اللهُ موسىٰ عن الخوفِ في التحدِّي الذي كان بينه وبين السحرةِ، وبيَّن له ﷻ أن مِن سُنَّته أنه: لا يخاف لديه المرسلونَ ومَن تبعهم بإحسانٍ إلىٰ يومِ الدين.

﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ﴾ [طه: ٧٧]، طمأن اللهُ موسىٰ في هذه الآيةِ بأنه لن يُدركه فرعونُ ولن يغرق في البحرِ؛ لأنه من عبادِهِ وأوليائِهِ الصالحين.

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِى ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧]، أخبر اللهُ أُمَّ موسىٰ بألَّا تخافَ ولا تحزنَ، إذا وضعت ولدَها في اليمِّ؛ لأنَّ الأمنَ من اللهِ لأوليائه الصالحينَ مِنْ سُنَنِهِ سبحانه.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ ۖ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٢٥]، في هذه الآيةِ لَـمَّا جاءَ موسىٰ إلىٰ والدِ المَرأتينِ وقيلَ إنه: شعيبٌ(١)، قال لِموسىٰ: لا تخف؛ لأن اللهَ لن يُسلطَ عليه فرعونَ؛ حيثُ إنه في أرضٍ ليس لفرعونَ عليها سُلْطَةٌ.

(١) انظر: تفسير مقاتل (٣/ ٣٤٢)، الهداية إلىٰ بلوغِ النِّهاية لِمكيّ (٨/ ٥٥١٨)، النُّكَت والعُيون لِلماوَرديّ (٤/ ٢٤٧).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]، بيَّن اللهُ تعالىٰ أنَّ مِن سنته: أن المؤمنين الذين آمنوا بالله واليوم والآخر وقَرَنُوا مع إيمانهم: العملَ الصالحَ، أنَّ لهم الأمنَ، ونفىٰ عنهم الحُزنَ وهو: غِلَظُ الهمِّ لفوت المرغوب في الماضي والحال، مأخوذ من: الحَزن وهو ما غلظ من الأرض، وضده السُّرور(١).

◆ ١٦- معيَّةُ اللهِ وحِفْظُهُ ورعايتُهُ وهدايتُه لعباده المؤمنين:

﴿فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ۝٦٠ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝٦١ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء: ٦٠-٦٢]، قال ابنُ عاشورٍ: وَإِسْنَادُ المَعِيَّةِ إِلَىٰ الرَّبِّ فِي: (إِنَّ مَعِي رَبِّي) عَلَىٰ مَعْنَىٰ مُصَاحَبَةِ لُطْفِ اللهِ بِهِ وَعِنَايَتِهِ بِتَقْدِيرِ أَسْبَابِ نَجَاتِهِ مِنْ عَدُوِّهِ. وَذَلِكَ أَنَّ مُوسَىٰ وَاثِقٌ بِأَنَّ اللهَ مُنْجِيهِ(٢). وقال الشنقيطيُّ: وهذه المعيةُ خاصةٌ بعبادِهِ المؤمنينَ، وهي بالإعانَةِ والنَّصرِ والتَّوفيقِ(٣).

◆ ١٧- مَنْ يتذكَّرُ ويتَّعظُ بآيات الله هم: أولو النُّهى:

﴿كُلُواْ وَٱرْعَوْاْ أَنْعَٰمَكُمْ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلنُّهَىٰ﴾ [طه: ٥٤]، دَلَّتْ الآيَةُ عَلَىٰ أَنَّ مِنْ سُنَّةِ الله: أن مَن يتَّعظُ ويتذكَّرُ ويستفيدُ من آياتِ اللهِ هم أولو النُّهىٰ في كل زمانٍ ومكانٍ، وأولو النُّهىٰ يشملُ: أولو الحِجَىٰ والعقول والتُّقَىٰ والوَرَع(٤)، قال الألوسيُّ: وتخصيص كونها آياتٌ بِهِم؛ لأنَّ أوجُهَ دلالتِها علىٰ شئونه تعالىٰ، لا

(١) انظر: التبيان في تفسير غريب القرآن لابن الهائم (ص٧٠).

(٢) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٩/ ١٣٥).

(٣) انظر: أضواء البيان للشنقيطي (٣/ ٤٦٥).

(٤) انظر: جامع البَيانِ للطَّبريّ (١٦/ ٢٠٦)، تفسير ابن أبي حاتم (٧/ ٢٤٢٦).

يعلمها إلا العقلاء، ولذا جعل نفعها عائدًا إليهم في الحقيقة[(١)]، قال ابن عاشورٍ: وَفِي هَذَا تَعْرِيضٌ بِالَّذِينَ لَمْ يَهْتَدُوا بِتِلْكَ الآيَاتِ، بِأَنَّهُمْ عَدِيمُو العُقُولِ[(٢)].

◆ ١٨- الإيمان مِنْ أسْبابِ دفع البلاء والعذاب:

﴿وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٤-١٣٥]، لما وقع العذابُ على قومِ فرعونَ قالوا لموسىٰ: إن دعوتَ اللهَ بكشفِ العذابِ، لنؤمنَنَّ لك أي: لنُصدِقَنَّ بما جئتَ بهِ ودعوتَ إليهِ ولنقِرَّنَّ به لك[(٣)]، فأوفىٰ لهم اللهُ بسببِ ما وعدوه من الإيمانِ والتصديقِ، فكشفَ عنهم العذابُ، وفي هذا دلالةٌ علىٰ سُنَّةِ اللهِ تعالىٰ: أَنَّ الإيمانَ مِنْ أسْبابِ رفعِ العذابِ والبلاء.

◆ ١٩- اصطفاءُ اللهِ للمؤمنينَ واختيارُهُم على غيرهم:

﴿يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧]، ﴿قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٠]، ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الجاثية: ١٦]، ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الدخان: ٣٢]، جميع هذه الآياتُ تَدُلُّ علىٰ سُنَّةِ اصطفاءِ اللهِ تعالىٰ وتفضيلِهِ لعبادِهِ المؤمنينَ به المصدِّقينَ بشريعتِهِ، حيث دَلَّتْ الآياتُ علىٰ تفضيلِ بني إسرائيلَ علىٰ عالَمِي زمانِهِم، ودلَّت علىٰ اختيارِهِم علىٰ

(١) انظر: رُوح المعاني لِلألوسيّ (٨/ ٥٢٠).

(٢) انظر: التحرير والتنوير لابن عاشور (١٦/ ٣٣٥).

(٣) انظر: جامع البَيانِ للطَّبريّ (١٠/ ٤٠٢).

مَن سواهم في زمانِهِم؛ وذلك بما أُوتوا من الكتابِ والحُكمِ والنُّبوَّةِ والإيمانِ والتصديقِ، وهذه السُّنةُ جاريةٌ علىٰ من اتَّبع هداهُ وتمسَّكَ بدينِهِ إلىٰ قيام الساعة.

◆ ٢٠- الإيمانُ والتَّقوى سببٌ لرحمة الله ﷻ:

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، دَلَّتْ هذه الآيةُ عَلَىٰ أَنَّ مِنْ سُنَّةِ اللهِ تعالىٰ: أنه ﷻ، يكتبُ رحمته للمتقين، والذين يؤتونَ الزكاة، الذين هُم مِن أهلِ الإيمانِ بالله ﷻ.

◆ ٢١- الخشيةُ سببٌ مِنْ أسْبابِ الهدايةِ والاعتبارِ والاتِّعاظ:

﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤-٢٦]، دَلَّتْ الآيَةُ عَلَىٰ أَنَّ مِنْ سُنَّةِ الله تعالىٰ في الخشيةِ أنَّها: سببٌ للاعتبار والهدايةِ؛ وذلك أنَّ مَن يتعظُ بما حلَّ بفرعونَ وأمثالِهِ، هم أهلُ الخشيةِ والخوفِ مِنْ اللهِ، وهذه سنةٌ جاريةٌ إلىٰ يوم القيامة، ويشهد لهذا المعنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ﴾ [فاطر:١٨].

◆ ◆ ◆

المَطْلَبُ الثّالِثُ:
السُّنَنُ المُتَعَلَّقَةُ بالدَّعوةِ

◆ ٢٢- إقامةُ الحُجَّةِ:

﴿ٱذْهَبْ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَـٰتِى وَلَا تَنِيَا فِى ذِكْرِى ۝٤٢ ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [طه: ٤٢-٤٣]، ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُوا۟ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٠٣]، ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الزخرف: ٤٦]، دَلَّتْ الآيات علىٰ أنَّ اللهَ أرسل موسىٰ إلىٰ فرعونَ وملئِهِ، وفيها دلالةٌ عَلَىٰ أَنَّ مِنْ سُنَّةِ اللهِ: إقامةَ الحجةِ علىٰ البشرِ، كما قال تعالىٰ: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، وجاء في الحديث: قوله ﷺ: «**وَلَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ العُذْرُ مِنَ اللهِ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ المُبَشِّرِينَ وَالمُنْذِرِينَ**»(١)، وأمَّةُ الإسلامُ مُكلَّفةٌ بإقامةِ الحجةِ علىٰ النَّاسِ، لأنَّ النبيَّ ﷺ أُرسلَ إلىٰ الناسِ كافَّةً، ودينُهُ ناسِخٌ لجميع الأديانِ السابقةِ، وهو الدين الذي لا يرضىٰ اللهُ سواه إلىٰ قيامِ الساعةِ.

◆ ٢٣- تأييدُ الأنبياءِ بالمُعجزاتِ:

فقد أيَّدَ اللهُ موسىٰ بِتسع مُعجزاتٍ كما قال تعالىٰ: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ۖ فِى تِسْعِ ءَايَـٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ﴾ [النمل: ١٢]، ومما يدلُّ

(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْه، رَواهُ البُخارِيُّ في صَحِيْحِهِ: كِتَابُ: التَّوْحِيدِ، بابُ: قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «**لَا شَخْصَ أَغْيَرُ مِنَ اللهِ**»، (رقم٧٤١٦)، ومُسْلِمٌ في صَحِيْحِهِ: كِتَابُ: التَّوْبَةِ، بابُ: غَيْرَةِ اللهِ تَعَالَىٰ وَتَحْرِيمِ الفَوَاحِشِ، (رقم ٢٧٦٠).

علىٰ أن التأييد بالـمُعجزاتِ سنةٌ ربانية في جميع الأنبياءِ: قوله ﷺ: «**مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعطِيَ مِنَ الآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ**»(١).

◆ ٢٤- اللِّينُ في الدَّعوةِ أَدْعَى للتَّذكُّرِ والخَشيَة:

﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٣-٤٤]، قال الماتريديُّ: وكان اللينُ في القَولِ أنفذَ في القلوبِ، وأسرعَ إلىٰ الإجابةِ، وأَدعىٰ إلىٰ الطاعةِ مِن الخَشنِ مِن القولِ، وذلك ظاهرٌ في النَّاس(٢). وقال الرازي: إِنَّ الدَّعْوَةَ مَعَ الرِّفْقِ أَكْثَرُ تَأْثِيرًا فِي القَلْبِ، أَمَّا التَّغْلِيظُ فَإِنَّهُ يُوجِبُ التَّنْفِيرَ وَالبُعْدَ عَنِ القَبُولِ، وَلِهَذَا المَعْنَىٰ قَالَ تَعَالَىٰ لِمُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥](٣).

وهذه سنة مِنْ سُنَنِ الله تعالىٰ: أنَّ اللينَ أدْعَىٰ للقبولِ وأقربَ إلىٰ القلوبِ، وقد قال النبيُّ ﷺ: «**إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ**»(٤)، وهذهِ السُّنَّةُ أغلبيَّةٌ، فقدْ تكونُ الشِّدَّةُ والقُوَّةُ أَدْعَىٰ للهدايةِ والتَّذكُّرِ، كما في الجهادِ في سبيلِ اللهِ، وإقامةِ الحدودِ، نحوِهما.

◆ ٢٥- اتِّباعُ الأنبياءِ ونُصرتُهم مِنْ أسبابِ الفلاحِ والهداية:

﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ

---

(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْه، رَواهُ البُخارِيُّ في صَحِيْحِه: كِتَابُ: الاعْتِصَامِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بابُ: قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الكَلِمِ، (رقم٧٢٧٤) ومُسْلِمٌ في صَحِيْحِه: كِتَابُ: الإيمَان، بابُ: وُجُوبِ الإيمَانِ بِرِسَالَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَىٰ جَمِيعِ النَّاسِ، وَنَسْخِ المِلَلِ بِمِلَّتِهِ، (رقم٢٣٩).

(٢) انظر: تأويلات أهل السُّنة للماتريديّ (٢/ ٥١٥).

(٣) انظر: مَفاتيح الغَيْب للرّازيّ (١٦/ ٦٦).

(٤) رَواهُ مُسْلِمٌ في صَحِيْحِه: كِتَابُ: البِرِّ وَالصِّلَةِ وَالآدَاب، بابُ: فَضْلِ الرِّفْقِ، (رقم٢٥٩٤).

وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٧-١٥٨]، دَلَّتْ الآيتان عَلَىٰ أَنَّ مَنْ أرادَ الفلاحَ والهدايةَ، فعليه باتِّباعِ الأنبياءِ ﷺ، وهذه سنةٌ مِنْ سُنَنِ اللهِ: أنَّ اتِّباعَ الرُّسُلِ الذين أرسلهم اللهُ للدعوةِ والتبليغِ؛ مِنْ أسْبابِ الاهتداءِ والفلاحِ في الدنيا والآخرةِ.

◆ ٢٦- العِلْمُ وبالٌ على صاحبِهِ إذا لم يعمَلْ به:

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥]، قال الواحديُّ: وهذا المَثَلُ يَلحَقُ مَن لم يفهمْ معانيَ القرآنِ ولمْ يعملْ بهِ(١). وقال الزمخشري: وكُلُّ مَن عَلِمَ ولمْ يعمَلْ بعِلْمِهِ فهذا مِثْلُهُ(٢). وقال القرطبيُّ: وَفِي هَذَا تَنْبِيهٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ لِمَنْ حَمَلَ الكِتَابَ أَنْ يَتَعَلَّمَ مَعَانِيَهُ وَيَعْلَمَ مَا فِيهِ، لِئَلَّا يَلْحَقَهُ مِنَ الذَّمِّ ما لحق هؤلاء(٣).

◆ ٢٧- سنة التَّدافُع:

وهذه السنةُ ظاهرةٌ في قصةِ موسىٰ وبني إسرائيل مع فرعونَ، حيثُ أُمِر موسىٰ بدعوةِ فرعونَ ومُدافعتِهِ ومُدافعةِ باطِلِهِ وإشراكِهِ باللهِ، فحاربَ موسىٰ وطاردَهُ، ثم

(١) انظر: التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ٢٩٥).

(٢) انظر: الكشاف للزمخشري (٤/ ٥٣٠).

(٣) انظر: الجامع لأحكامِ القُرآن للقُرطبيّ (١٨/ ٩٤).

أخرجَهُ من مصرَ، كعادةِ أغلبِ الأنبياءِ مع أقوامهم في إخراجِهم من ديارهم، كما في حديثِ عَائِشَةَ ﵂: حينما ذهبتْ خديجةُ ﵂ بالنبيِّ ﷺ إلىٰ ورقةَ بنِ نوفَلٍ فقال له: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَىٰ مُوسَىٰ ﷺ، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعًا، يَا لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَوَ مُخْرِجِيَّ هُمْ؟**» قَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِيَ(١).

قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١]، قال رشيد رِضا: أَيْ: لَوْلَا أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَدْفَعُ أَهْلَ البَاطِلِ بِأَهْلِ الحَقِّ، وَأَهْلَ الفَسَادِ فِي الأَرْضِ بِأَهْلِ الإِصْلَاحِ فِيهَا لَغَلَبَ أَهْلُ البَاطِلِ وَالإِفْسَادِ فِي الأَرْضِ، وَبَغَوْا عَلَىٰ الصَّالِحِينَ وَأَوْقَعُوا بِهِمْ حَتَّىٰ يَكُونَ لَهُمُ السُّلْطَانُ وَحْدَهُمْ، فَتَفْسد الأَرْضُ بِفَسَادِهِمْ، فَكَانَ مِنْ فَضْلِ اللهِ عَلَىٰ العَالَمَيْنِ وَإِحْسَانِهِ إِلَىٰ النَّاسِ أَجْمَعِينَ أَنْ أَذِنَ لِأَهْلِ دِينِهِ الحَقِّ المُصْلِحِينَ فِي الأَرْضِ بِقِتَالِ المُفْسِدِينَ فِيهَا مِنَ الكَافِرِينَ وَالبُغَاةِ المُعْتَدِينَ، فَأَهْلُ الحَقِّ حَرْبٌ لِأَهْلِ البَاطِلِ فِي كُلِّ زَمَانٍ، وَاللهُ نَاصِرُهُمْ مَا نَصَرُوا الحَقَّ وَأَرَادُوا الإِصْلَاحَ فِي الأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّىٰ هَذَا دَفْعًا عَلَىٰ قِرَاءَةِ الجُمْهُورِ بِاعْتِبَارِ أَنَّهُ مِنْهُ سُبْحَانَهُ، إِذْ كَانَ سُنَّةً مِنْ سُنَنِهِ فِي الِاجْتِمَاعِ البَشَرِيِّ، وَسَمَّاهُ دِفَاعًا فِي قِرَاءَةِ نَافِعٍ بِاعْتِبَارِ أَنَّ كُلًّا مِنْ أَهْلِ الحَقِّ المُصْلِحِينَ وَأَهْلِ البَاطِلِ المُفْسِدِينَ يُقَاوِمُ الآخَرَ وَيُقَاتِلُهُ(٢).

◆ ◆ ◆

(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْه، رَواهُ البُخارِيُّ في صَحِيحِهِ: بابُ: بَدْءِ الوَحْيِ، كَيْفَ كَانَ بَدْءُ الوَحْيِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، (رقم٣) ومُسْلِمٌ في صَحِيحِهِ: كِتَابُ: الإِيمَان، بابُ: بَدْءِ الوَحْيِ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، (رقم٢٥٢).

(٢) انظر: تفسير المَنار لِمحمد رشيد (٢/ ٣٨٩).

المَطْلَبُ الرّابع:
السُّنَنُ المُتَعَلِّقَةُ بالنصر والتمكين

◆ ٢٨- النَّصرةُ والنَّجاةُ لعباد اللهِ المُؤمنين:

﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾ [الإسراء: ١٠٣-١٠٤]، ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ٦٥-٦٨]، دَلَّتْ هذه الآياتُ عَلَىٰ أَنَّ مِنْ سُنَّةِ اللهِ: نصرَ أوليائهِ وإنجاءَهُم، وإن لم يُنجِ بعضَ أوليائِهِ من العذابِ في الدُّنيا، فإنَّهُ لا محالةَ وعدَ بأنْ سَيُنجيهم من العذابِ يومَ القيامةِ، وقد نصرَ اللهُ نبيَّهُ ﷺ وصحابتَه الكرامَ في جهادِهِم وغزواتِهِم إلا ما عَرَضَ فيه عارِضٌ، من مخالفةِ دينِ اللهِ وشرعِهِ، كما حصل في الهزيمةِ في غزوةِ أحدٍ بسببِ مخالفةِ الرُّماةِ أمرَ النبيِّ ﷺ، وهذه سنتُه ﷻ في نصرِ عبادِهِ ما لم يُخالِفوا دينه وشريعته، إلىٰ يوم القيامة.

◆ ٢٩- التَّمْكينُ في الأرضِ للمؤمنينَ:

ويكونُ بعدَّةِ أسبابٍ: أَوَّلُها: الإيمانُ باللهِ: قال تعالىٰ: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ﴾ [القصص: ٥-٦]، دَلَّتْ الآيَةُ عَلَىٰ أَنَّ مِنْ سُنَّةِ الله تعالىٰ: أنَّ اللهَ يُمَكِّنُ لعبادِهِ المؤمنين في الأرض، قال ابنُ عباس رضي الله عنهما: نُمَلِّكُهم ما كان يملكُ فرعونُ وقومُه(١)، ويجعلُ عبادَه المؤمنين أئمةً، أي: ولاةً

(١) انظر: التفسير الوسيط للواحدي (٣/ ٣٩٠).

وحُكَّامًا على الناسِ، ويجعلهم يرثون الأرضَ، أي: يوطِّنُ لهم الأرض ويجعلهم يعيشون فيها بأمنٍ واستقرار.

﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٥٧ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٥٨ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ٥٧-٥٩]، ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۝١١٤ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ۝١١٥ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ [الصافات: ١١٤-١١٦]، ﴿كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٨]، مجموعُ هذه الآياتِ تَدُلُّ على أنَّ اللهَ مَنَّ على بني إسرائيل بالتمكينِ في الأرضِ، وأنَّهُ سبحانه ورَّثهم مُلكَ مصرَ وما فيها من الكنوزِ والجنَّاتِ والعيونِ والأرزاق.

ومِنْ أسْبابِ التمكينِ: الاستعانةُ باللهِ والصبرُ والتقوى، وقد جاءتَ جميعها في قوله تعالى: ﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨]، حيثُ إنَّ اللهَ أمر بالاستعانةِ به والصبرِ على سبيلِهِ، وأخبرَ أنه من سنته ﷻ: أنهُ يُورِثُ الأرضَ مَن يشاءُ مِن عبادِهِ مِمَّنْ امتثلَ شرعَهُ وائْتَمرَ بأمرِهِ، وختم الآيةَ بوعدِهِ بأن العاقبةَ لِمَنِ اتقاه ﷻ.

◆ ٣٠- خيرُ مَنْ يُستأجرُ ويُولَّى: القويُّ الأمينُ:

﴿قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]، قال السمرقندي: يعني: خيرُ الأُجراءِ مَن يكونُ قويًّا في العملِ، أمينًا على المالِ والعورة[(١)]. وقال الزمخشري: وقولها: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ﴾ كلامٌ حكيمٌ جامعٌ لا يُزادُ عليه، لأنه إذا اجتمعتْ هاتان الخصلتانِ، أعني الكفايةَ والأمانةَ

(١) انظر: بحر العلوم لِلسّمرقنديّ (٢/ ٦٠٥).

في القائمِ بأمرِكَ، فقدْ فرَغَ بالُكَ وتَمَّ مُرادُكَ[1]. وقال السعدي: وهذان الوصفان، ينبغي اعتبارُهما في كُلِّ مَن يتولَّىٰ للإنسانِ عملًا بإجارةٍ أو غيرِها[2]. فلذا دَلَّتْ الآيَةُ عَلَىٰ أَنَّ مِنْ سُنَنِ اللهِ: أن خيرَ الأُجراءِ والعُمَّالِ والأُمراءِ مَن يجمعُ بينَ صفتَي: القوةِ والأمانةِ، وهذه مِنْ سُنَنِهِ ﷺ، مَن أخذَ بها: تحقَّقَ لهُ النَّصْرُ والمقصودُ والظَّفَرُ بالمطلوبِ إلىٰ قيامِ الساعةِ.

◆ ٣١- الاجتماعُ قوة، والتَّفرُّق ضعفٌ:

دل علىٰ هذه السُّنَّةِ آيتان في قصة موسىٰ، الأولىٰ: قول اللهِ تعالىٰ علىٰ لسانِ فرعون: ﴿فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ﴾ [طه: ٦٤]، وما قال هذا القولَ، إلا لمعرفتِهِ بقوةِ الاتِّحادِ والاجتماعِ في مُواجهةِ الخصمِ، كما دَلَّ علىٰ هذا المعنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف: ٤]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣].

والآية الثانية: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [القصص: ٤]، في هذه الآيةِ حرص فرعونُ وقومُه علىٰ إضعافِ بني إسرائيل بعدَةِ أساليب وطُرق، ومنها: أنه جعل أهلها شِيَعًا أي: فِرَقًا وأحزابًا[3]، وما ذلكَ إلا لأنهم يعلمون أنَّ في تفرُّقهم وتشتُّتِهم: ضعفًا ووهْنًا، وهذه سنةٌ مِنْ سُنَنِ اللهِ التي وضعها في البشرِ: بقوةِ الجماعةِ وضعفِ الناس المتفرقين المُتحزِّبين، وهذه السُّنَّةُ أغلبيَّةٌ، حيثُ إنَّ

(١) انظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٤٠٣).

(٢) انظر: تيسير الكريم الرّحمن لِلسّعديّ (ص٦١٤).

(٣) انظر: غريب القرآن لابن قتيبَة (ص١٦٤).

الغالبَ فيمَن اجتمعوا علىٰ أمرٍ، يكونونَ قوَّةً، وقد يكونُ علىٰ قوَّةٍ مَنْ كانَ علىٰ الحقِّ ولو كانَ لِوَحْدِهِ، كما رُوي عن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه: إِنَّ جُمْهُورَ الجَمَاعَةِ هِيَ الَّتِي تُفَارِقُ الجَمَاعَةَ، إِنَّمَا الجَمَاعَةُ مَا وَافَقَ طَاعَةَ اللهِ وَإِنْ كُنْتَ وَحْدَكَ[1]. وهذه سُنَّةٌ أغلبيَّةٌ كما ذكرنا.

◆ ◆ ◆

المَطْلَبُ الخامِسُ:
السُّنَنُ المُتَعَلِّقَةُ بالكفر والتكذيب

◆ ٣٢- سنة الاستبدال:

مِنْ سُنَنِ اللهِ تعالىٰ: أنَّ اللهَ يستبدِلُ مَن يُعرِضُ عن دينِهِ وشَرعِهِ بِغيرِهِم، وجاءت هذه السنةُ في قصةِ بني إسرائيل في قوله تعالىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ [الدخان: ٢٨]، قال الشوكانيُّ: وَالمُرَادُ بِالقَوْمِ الآخَرِينَ بَنُو إِسْرَائِيلَ، فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ مَلَّكَهُمْ أَرْضَ مِصْرَ بَعْدَ أَنْ كَانُوا فِيهَا مُسْتَعْبَدِينَ، فَصَارُوا لَهَا وَارِثِينَ: أَيْ أَنَّهَا وَصَلَتْ إِلَيْهِمْ كَمَا يَصِلُ المِيرَاثُ إِلَىٰ الوَارِثِ[2]. وقد استبدلَ اللهُ الجيلَ الذين امتنعوا من دخولِ بيتِ المقدسِ؛ وذلك أنهم تعوَّدوا علىٰ الذُّل والهوانِ والعبوديَّةِ، حيثُ عبدُوا العِجْلَ لمَّا ذهبَ موسىٰ لميقاتِ ربِّه، فعوقبوا بالتِّيه أربعينَ سنةً وفيها ذهب هذا الجيلُ، واستبدَلَهُم اللهُ بجيلٍ آخرَ فتح اللهُ لهم بيتَ المقدسِ بقيادةِ يوشَع بن نون، قال محمد رشيد: وَقَدِ ابْتَلَاهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ وَرَبَّاهُمْ بِالحَسَنَاتِ

(١) انظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للّالكائي (١/ ١٢٢).

(٢) انظر: فَتح القَدير لِلشّوكانيّ (٤/ ٦٥٨).

وَالسَّيِّئَاتِ، وَحَرَّمَ الأَرْضَ المُقَدَّسَةَ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الأَرْضِ، حَتَّىٰ انْقَرَضَ ذَلِكَ الجِيلُ الَّذِي نَشَأَ فِي حِجْرِ الوَثَنِيَّةِ، وَشَبَّ أَوِ اكْتَهَلَ أَوْ شَاخَ، فِي ذُلِّ العُبُودِيَّةِ الفِرْعَوْنِيَّةِ(١). ويدُلُّ لهذ السُّنَّةِ صريحُ قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨].

◆ ٣٣- عدمُ فلاحِ السّاحرِ:

﴿وَأَلْقِ مَا فِى يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩]، قال القرطبي: أَيْ لَا يَفُوزُ وَلَا يَنْجُو حَيْثُ أَتَىٰ مِنَ الأَرْضِ. وَقِيلَ: حَيْثُ احْتَالَ(٢).

﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢]، دَلَّتْ هاتان الآيتانِ عَلَىٰ أَنَّ مِنْ سُنَنِ الله: أنَّ الساحرَ لا يُفلحُ مُطلقًا وإنْ حصل علىٰ بعض مقصودِهِ، فإنه إلىٰ افتضاحٍ وخداعٍ، وتبابٍ وخُسرانٍ، وعقابٍ وعذابٍ، وقد ذكر المفسرونَ أن (ال) في الساحر للجنس(٣) أي: جِنْس السحرةِ، فيشملُ جميعَ السَّحرةِ إلىٰ قيامِ الساعَةِ.

---

(١) انظر: تفسير المَنار لِمحمد رشيد (٩/ ٩٥).

(٢) انظر: الجامع لأحكامِ القُرآن للقُرطبيّ (١١/ ٢٢٤).

(٣) انظر: الكشاف للزمخشري (٣/ ٧٥)، مَفاتيح الغَيْب للرّازيّ (٢٢/ ٧٥).

◆ ٣٤- عدمُ فلاحِ الظالمين:

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّيٓ أَعۡلَمُ بِمَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ مِنۡ عِندِهِۦ وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَٰقِبَةُ ٱلدَّارِۚ إِنَّهُۥ لَا يُفۡلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [القصص: ٣٧]، ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٥]، دَلَّتْ هاتان الآيتانِ عَلَىٰ أَنَّ مِنْ سُنَنِ الله تعالىٰ: أن الظالمَ وهو: الذي يضع الشيء في غير موضعه ويجورُ ويُجاوزُ حدَّهُ، أنه لا يُفلح ولا ينجحُ ولا يفوزُ عند اللهِ ﷻ، وأنَّ اللهَ يُعذِّبه ويقتصُّ منه، في كل مظالِمه التي ارتكبها.

◆ ٣٥- كَيْدُ ومكرُ الكافرين إلى خسرانٍ وبُطلان:

﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِۚ وَمَا كَيۡدُ فِرۡعَوۡنَ إِلَّا فِي تَبَابٖ﴾ [غافر: ٣٧]، قال الطبريُّ: وَمَا احْتِيَالُ فِرْعَوْنَ الَّذِي يَحْتَالُ لِلِاطِّلَاعِ إِلَىٰ إِلَهِ مُوسَىٰ، إِلَّا فِي خَسَارٍ وَذِهَابِ مَالٍ وَغَبْنٍ، لِأَنَّهُ ذَهَبَتْ نَفَقَتُهُ الَّتِي أَنْفَقَهَا عَلَىٰ الصَّرْحِ بَاطِلًا، وَلَمْ يَنَلْ بِمَا أَنْفَقَ شَيْئًا مِمَّا أَرَادَهُ، فَذَلِكَ هُوَ الخَسَارُ وَالتَّبَابُ(١).

﴿وَأَضَلَّ فِرۡعَوۡنُ قَوۡمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ﴾ [طه: ٧٩]، وقال تعالىٰ في دفاع الرجل المؤمن عن موسىٰ: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرۡعَوۡنَ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥]، قال الواحديُّ: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ﴾ ما أرادوا به من الشر، وحاق: أحاط، ونزل بهم، سوء العذاب، قال الكلبي: غرقوا في البحر، ودخلوا النار(٢).

وفي هذه الآياتِ دلالةٌ عَلَىٰ أَنَّ مِنْ سُنَنِ الله: أن كيدَ الكفارِ ومكرَهم يرجع عليهم بالخسرانِ والهلاك، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ

(١) انظر: جامع البَيانِ للطَّبريّ (٢٠/ ٣٢٨).

(٢) انظر: التفسير الوسيط للواحدي (٤/ ١٥).

وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [فاطر: ١٠]، كما أن مِنْ سُنَنِ اللهِ: أن المكرَ السيِّئَ الباطلَ يرجعُ وبالُهُ وخِزيُهُ على صاحبِهِ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٣].

◆ ٣٦- الظلم والعلو والاستكبار من أعظم أسباب الجحود والكفر بالله ﷻ:

﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤]، قال الزجاج: وجحدوا بها ظَلْمًا وعُلُوًّا، أي: تَرفعًا عَنِ أَنْ يؤمِنُوا بما جاء به مُوسَىٰ عليه السلام، فجَحَدُوا بها وَهم يَعلَمُونَ أَنها مِنْ عِنْد اللهِ(١). دَلَّتْ هذه الآيةُ على أنَّ قوم فرعونَ جحدوا الآياتِ مع استيقانهم بصحتها، وذلك بسببِ ظُلمهم وعُلوِّهم وتكبُّرِهم الذي منعهم من الاستسلام للهِ ولرسولِهِ، وفيها دلالةٌ عَلَىٰ أَنَّ مِنْ سُنَنِ اللهِ: أنَّ الظلم والتكبُّر من أعظم أسبابِ الكفر والجحودِ والمعصيةِ، كما دَلَّتْ على هذه السُّنَّةِ الآياتُ التي وردت في قصةِ إبليس واستكبارِهِ على آدمَ وامتناعِهِ من السجودِ والاستجابةِ للهِ ﷻ، وصريحُ دلالةِ قولِهِ تعالىٰ: ﴿وَقَٰرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانُوا۟ سَٰبِقِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٩].

◆ ٣٧- الكفرُ سببٌ للفهم الخاطئ والسيئ لشريعة الله ﷻ:

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ ٱلطُّورَ خُذُوا۟ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ وَٱسْمَعُوا۟ ۖ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٣]، قال السمين الحلبي: فيه وجهان، أظهرُهما: أنَّها للسببيةِ متعلِّقَة بـ: ﴿أُشْرِبُوا۟﴾ أي: أُشْربوا بسببِ كفرِهم السابق(٢).

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٤/ ١١١).

(٢) انظر: الدر المصون للسمين الحلبي (٢/ ٦).

وفي هذا دلالةٌ عَلَىٰ أَنَّ مِنْ سُنَّةِ اللهِ: أن الكفرَ مِنْ أسبابِ الضلالِ والعَمَىٰ عن الهدايةِ والفهمِ لكتابِ اللهِ وشريعتِهِ، كما أن عمومَ المعاصِي تُضعِفُ البصيرةَ والعلمَ باللهِ وبدينِهِ وشريعتِهِ كما دَلَّ عَلَىٰ هذه السُّنَّةِ قوله ﷺ: «**تُعْرَضُ الفِتَنُ عَلَىٰ القُلُوبِ كَالحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا، نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّىٰ تَصِيرَ عَلَىٰ قَلْبَيْنِ، عَلَىٰ أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ، وَالآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالكُوزِ، مُجَخِّيًا لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ**»(١).

◆ ٣٨- الطغيان مِنْ أسْبابِ غضب الله، وغضبُ الله مِنْ أسْبابِ الهلاك:

﴿كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ﴾ [طه: ٨١]، قال البيضاوي: وَلا تَطْغَوْا فِيهِ فيما رزقناكم بالإخلال بشكره والتعدي لما حد الله لكم فيه كالسرف والبطر والمنع عن المستحق، فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي: فيلزمكم عذابي ويجب لكم، مِن: حَلَّ الدَّيْنُ؛ إذا وجب أداؤه، وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوىٰ، فقد: تردىٰ وهلك، وقيل: وقع في الهاوية(٢). وهذا فيه دلالةٌ علىٰ أنَّ سُنَّةَ اللهِ فيمن طغىٰ أن يحلَّ عليه غضبُ اللهِ، ومَن غضِبَ اللهُ عليهِ هلكَ وتردَّىٰ.

◆ ٣٩- الشركُ باللهِ مِنْ أسْبابِ الهلاكِ والخُسرانِ وبُطلانِ الأعمالِ:

﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى

(١) رَواهُ مُسْلِمٌ في صَحِيحِهِ: كِتَابُ: الإِيمَانَ، بابُ: بَيَانِ أَنَّ الإِسْلَامِ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا، وَأَنَّهُ يَأْرِزُ بَيْنَ المَسْجِدَيْنِ، (رقم١٤٤).

(٢) انظر: أنوار التّنزيل لِلبيضاويّ (٤/ ٣٥).

﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ ١٣٨ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٞ مَّا هُمۡ فِيهِ وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٨-١٣٩]، دَلَّتْ الآيَةُ على أنَّ سُنَّةَ اللهِ فيمن كفر باللهِ وأشركَ، -كما حصل لبني إسرائيل من عبادة العجلِ- أنه في خسارٍ وهلاكٍ، وأن الشرك باللهِ يُبطلُ ويحبطُ الأعمالَ، كما دَلَّ على هذه السُّنَّةِ قوله تعالى: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣]، ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥].

◆ ٤٠- الإذلالُ والتَّسليطُ مِنْ أسْبابِ الكُفْرِ والتَّكذيبِ:

﴿وَضُرِبَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلۡمَسۡكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١]، ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَلۡقِ عَصَاكَۖ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ١١٧ فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١١٨ فَغُلِبُواْ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُواْ صَٰغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١١٧-١١٩]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلۡعِجۡلَ سَيَنَالُهُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَذِلَّةٞ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُفۡتَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥٢]، ﴿وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبۡعَثَنَّ عَلَيۡهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلۡعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الأعراف: ١٦٧]، ﴿وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ لَكَ بِمُؤۡمِنِينَ ١٣٢ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلۡجَرَادَ وَٱلۡقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٖ مُّفَصَّلَٰتٖ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ وَكَانُواْ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٣٢-١٣٣]

دَلَّتْ هذه الآياتُ على أنَّ سُنَّةَ اللهِ فيمن كذَّب وكفرَ: أنَّ اللهَ يضربُ عليه الذلةَ والمسكنةَ، ويسومهم سوءَ العذابِ بجهادِ أهل الإسلامِ لهم وأخذِ الجزيةِ منهم، كل ذلك بسبب كفرهم وإعراضهم عن دين اللهِ ﷻ.

◆ ٤١- الشكُّ والإسرافُ مِنْ أسْبابِ الضلال:

قال تعالىٰ علىٰ لسانِ مؤمن آل فرعون: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ [غافر: ٣٤]، قال الطبري: هَكَذَا يَصُدُّ اللهُ عَنْ إِصَابَةِ الحَقِّ وَقَصْدِ السَّبِيلِ مَنْ هُوَ كَافِرٌ بِهِ مُرْتَابٌ، شَاكٌّ فِي حَقِيقَةِ أَخْبَارِ رُسُلِهِ(١). قال السمينُ الحلبي: الإسرافُ: تجاوزُ الحدِّ في سائرِ الأفعالِ.. وقال إياس بن معاوية: الإسراف: ما قَصَّرَ بِهِ عنْ حقِّ اللهِ تعالىٰ(٢). دَلَّتْ الآيَةُ علىٰ أَنَّ بني إسرائيل شكُّوا فيما جاء به أنبياؤهم من دعوتهم لعبادةِ اللهِ وحدهُ، حتىٰ إذا مات نبيٌّ من أنبيائهم، ادَّعوا أنَّ اللهَ لن يبعث لهم نبيًّا يدعوهم لتوحيدِ اللهِ، وظنُّوا أنَّ اللهَ لن يُجدِّدَ لهم إقامةَ الحجةِ عليهم، فهلكوا بشكِّهم وإسرافهم وضلوا عن سواءِ السبيل، ففي هذه الآيةِ دلالةٌ عَلَىٰ أَنَّ مِنْ سُنَّةِ اللهِ: أنَّ اللهَ يُضِلُّ من وقعَ في الإسرافِ والارتيابِ، وأنهما مِنْ أسْبابِ الضلالِ.

وقد كان فرعونُ في ضلالٍ مُبين، حيث كان يُعذِّب بني إسرائيل، وما ذلك إلا لأنه كان مُتكبِّرًا مِن المسرفين كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ۝٣٠ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ [الدخان: ٣٠-٣١].

◆ ٤٢- عداوةُ الملائكة والرُّسُل؛ عداوةٌ للهِ ﷻ:

مِنْ سُنَنِ اللهِ تعالىٰ: أنَّ الله يُعادي من يُعادِيه أو يعادي ملائكته أو يعادي رُسُلَهُ، كما دلَّ عليه صريحُ قوله تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨].

---

(١) انظر: جامع البَيانِ للطَّبريّ (٢٠/ ٣٢٢).

(٢) انظر: عمدة الحفاظ للسمين الحلبي (٢/ ١٩٣).

◆ ٤٣- ادِّعاءُ الألوهيَّةِ والإلحادُ مِنْ أسْبابِ الخسرانِ في الدنيا والآخرة:

﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ۝٢٠ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۝٢١ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ۝٢٢ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ۝٢٣ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٤ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ۝٢٥ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾ [النازعات: ٢٠-٢٦]، قال الماوردي: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ﴾ فيها أربعة أقاويل: أحدها: عقوبة الدنيا والآخرة، قال قتادة: عذَّبهُ اللهُ في الدنيا بالغرقِ وفي الآخرةِ بالنارِ. الثاني: عذابُ أولَ عُمرِه وآخره، قاله مجاهد. الثالث: الأولىٰ قوله: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾ [القصص: ٣٨]، والآخرة قوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ قاله عكرمةُ، قال ابن عباس: وكان بينهما أربعون سنة، وقال مجاهد: ثلاثون سنة، قال السدي: وهي الآخرة ثلاثون سنة. الرابع: عذابُ الأولىٰ: الإمهالُ، والآخرةُ: في النَّارِ(١).

أخبر اللهُ تعالىٰ في هذه الآياتِ أنه ﷻ: عاقبَ فرعونَ حينما ادَّعىٰ الألوهيَّةَ، وأنَّ مِنْ سُنَنِه ﷻ: أنَّ العقابَ والخُسرانَ جارٍ علىٰ فرعونَ وعلىٰ كُلِّ مَن شاكلَهُ في ادِّعاءِ الألوهيَّةِ والإلحادِ به ﷻ؛ حيثُ إنه ﷻ أرشدَ إلىٰ أخذِ العبرةِ والعظَةِ في ختامِ الآياتِ.

◆ ٤٤- الإيمانُ ببعضِ الكتابِ والكُفرُ ببعضِه سببٌ مِنْ أسْبابِ الخِزي في الدُّنيا والعذاب يوم القيامة:

﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥]،

(١) انظر: النُّكَت والعُيون للماوَرديّ (٦/ ١٩٨).

أخبرَ اللهُ أن مِنْ سُنَنِه أن يُجازِي من يؤمِنُ ببعضِ دينه ﷻ ويكفرُ ببعض، بأنه ﷻ يُخزيه ويُعاقبه بالنَّارِ يوم القيامةِ، كما دَلَّ عَلىٰ هذه السُّنَّةِ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١٥٠ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾ [النساء: ١٥٠-١٥١]، وأثنىٰ ﷻ علىٰ عبادِهِ المُؤمنين بقولهِ: ﴿وَنُؤۡمِنُ بِٱلۡكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾ [آل عمران: ١١٩].

◆ ٤٥- حسدُ أهلِ الكتابِ والمُشركين لأُمَّةِ الإسلام:

﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَخۡتَصُّ بِرَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [البقرة: ١٠٥]، ﴿وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [البقرة: ١٠٩]، دَلَّتْ الآيتان أن مِنْ سُنَّةِ الله علىٰ أهلِ الكتابِ أن جعل في قُلوبِهم الحسدَ لأُمةِ الإسلام، وجعل هذه الطبيعةَ فيهم إلىٰ قيامِ الساعةِ، وهذا الحسدُ الذي جُعل فيهم، عقوبةٌ لهم؛ من حيثُ إنَّه يُحرقُ القلبَ ويُؤلمُ النفسَ بما ترىٰ مَن فضلِ اللهِ وإكرامِهِ لأمةِ بالإسلامِ عليهم وعلىٰ سائرِ الأديانِ.

◆ ٤٦- عدمُ رِضَا اليهودِ والنَّصارى عن المُسلمينَ حتى يتَّبعوا ملَّتهم ويدخلوا في دينهم:

﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡ﴾ [البقرة: ١٢٠]، دَلَّتْ الآيةُ علىٰ أنَّ سُنَّةَ اللهِ في اليهودِ والنصارىٰ، أنَّهم لن يرضوا عن المسلمينَ علىٰ مدىٰ الأزمانِ والأعمارِ، حتىٰ ينسلخوا عن دينهم ويكونوا تابعينَ لهم في دينهم. قال

الطبريُّ: وَلَيْسَتِ اليَهُودُ يَا مُحَمَّدُ وَلَا النَّصَارَىٰ بِرَاضِيَةٍ عَنْكَ أَبَدًا، فَدَعْ طَلَبَ مَا يُرْضِيهِمْ وَيُوَافِقُهُمْ، وَأَقْبِلْ عَلَىٰ طَلَبِ رِضَا اللهِ فِي دُعَائِهِمْ إِلَىٰ مَا بَعَثَكَ اللهُ بِهِ مِنَ الحَقِّ. فَإِنَّ الَّذِي تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ لَهُوَ السَّبِيلُ إِلَىٰ الِاجْتِمَاعِ فِيهِ مَعَكَ عَلَىٰ الأُلْفَةِ وَالدِّينِ القَيِّمِ. وَلَا سَبِيلَ لَكَ إِلَىٰ إِرْضَائِهِمْ بِاتِّبَاعِ مِلَّتِهِمْ؛ لِأَنَّ اليَهُودِيَّةَ ضِدَّ النَّصْرَانِيَّةِ، وَالنَّصْرَانِيَّةُ ضِدُّ اليَهُودِيَّةِ، وَلَا تَجْتَمِعُ النَّصْرَانِيَّةُ وَاليَهُودِيَّةُ فِي شَخْصٍ وَاحِدٍ فِي حَالٍ وَاحِدَةٍ، وَاليَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ لَا تَجْتَمِعُ عَلَىٰ الرِّضَا بِكَ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ يَهُودِيًّا نَصْرَانِيًّا، وَذَلِكَ مِمَّا لَا يَكُونُ مِنْكَ أَبَدًا، لِأَنَّكَ شَخْصٌ وَاحِدٌ، وَلَنْ يَجْتَمِعَ فِيكَ دِينَانِ مُتَضَادَّانِ فِي حَالٍ وَاحِدَةٍ. وَإِذَا لَمْ يَكُنْ إِلَىٰ اجْتِمَاعِهِمَا فِيكَ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ سَبِيلٌ، لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلَىٰ إِرْضَاءِ الفَرِيقَيْنِ سَبِيلٌ. وَإِذَا لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلَىٰ ذَلِكَ سَبِيلٌ، فَالزَمْ هُدَىٰ اللهِ الَّذِي لِجَمْعِ الخَلْقِ إِلَىٰ الأُلْفَةِ عَلَيْهِ سَبِيلٌ[1].

◆ ٤٧- الكفرُ باللهِ سببٌ للَّعْنَةِ:

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ﴾ [المائدة: ١٣]، ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفُۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٨-٨٩]، قال الرازيُّ: ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ هَذَا يَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ تَعَالَىٰ لَعَنَهُمْ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ[2]. وخُتمت الآيةُ الثانيةُ بأنَّ لعنة اللهِ علىٰ الكافرينَ، ممَّا يدلُّ علىٰ أنَّ سُنَّةَ اللهِ فيمن يقعُ في الكفرِ أنَّه يستحقُّ لعنةَ اللهِ والطردَ عن رحمته.

(١) انظر: جامع البَيانِ للطَّبريّ (٢/ ٤٨٤).

(٢) انظر: مَفاتيح الغَيْب للرّازيّ (٣/ ٥٩٧).

◆ ٤٨- الكفرُ باللهِ سببٌ لغضبه ﷻ:

﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [البقرة: ٩٠]، قال الواحدي: ﴿فَبَآءُو﴾ فانصرَفُوا واحتَمَلوا ﴿بِغَضَبٍ﴾ مِن الله عليهم لأجلِ تضييعِهم التَّوراةَ ﴿عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ لِكُفْرِهِمْ بالنَّبي محمدٍ ﷺ والقرآنِ(١). دل صريحُ الآيةِ عَلَىٰ أَنَّ مِنْ سُنَنِ اللهِ: أن الكفرَ سببٌ لغضبِهِ ﷻ، وأن مَن كفر باللهِ استحقَّ غضبه إلىٰ يوم القيامة.

◆ ٤٩- الكفرُ سببٌ لِقَسوةِ القلوبِ والطَّبْعِ عليها:

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥٥﴾ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٥-١٥٧]، قال الطبريُّ: كَذَبُوا فِي قَوْلِهِمْ: قُلُوبُنَا غُلْفٌ، مَا هِيَ بِغُلْفٍ وَلَا عَلَيْهَا أَغْطِيَةٌ؛ وَلَكِنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ جَعَلَ عَلَيْهَا طَابِعًا بِكُفْرِهِمْ بِاللهِ(٢).

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ﴾ [المائدة: ١٣]، ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥]، دَلَّتْ الآياتُ السابقةُ عَلَىٰ أَنَّ مِنْ سُنَنِ الله في الكفرِ: أنه

(١) انظر: الوجيز للواحدي (ص١١٧).

(٢) انظر: جامع البَيانِ للطَّبريّ (٧/ ٦٤٦).

سببٌ لقسوةِ القلوبِ والطبْعِ عليها، كما حصل لبني إسرائيل الذين نقضوا ميثاقهم وعهدهم وكفروا بالله ﷻ.

◆ ٥٠- رميُ أهلِ الباطلِ للأنبياءِ ولأهلِ الحق بالتُّهم والدَّعاوَى الباطلَة:

مِنْ سُنَنِ اللهِ التي جعَلَها في أهل الباطِلِ: رميُهُم أهلَ الحقِّ والاستقامَةِ بالتُّهمِ الباطلَةِ التي ليس عليها دليلٌ، كما اتَّهم قومُ فرعونَ موسىٰ بالسحر: ﴿قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف: ١٠٩].

واتَّهم فرعونُ موسىٰ بأنه هو الذي علَّم سحرتَهُ السحرَ: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ﴾ [طه: ٧١].

واتَّهم فرعونُ موسىٰ في موضعٍ آخر بأنَّه مسحورٌ: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۖ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا﴾ [الإسراء: ١٠١].

واتَّهموا موسىٰ برغبته بإخراج قومِ فرعونَ من ديارهم: ﴿قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ﴾ [الشعراء: ٣٤-٣٥].

واتَّهموا موسىٰ بالكذبِ: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٣-٢٤].

واتَّهموا موسىٰ بالجنون: ﴿وَفِى مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات: ٣٨-٤٠].

ولا يخفىٰ ما في هذه الاتِّهامات من التعارُضِ والتناقُضِ، وهذه سُنة الله في أهل الباطلِ برميهم الدعاوىٰ الباطلة لأهل الحق، كما حصل لجميع الأنبياءِ حتىٰ نبينا محمد ﷺ، ورمي أتباعهم علىٰ الحقِّ والهدىٰ إلىٰ قيام الساعة.

◆ ٥١- لجوءُ أهلِ الباطلِ للقوةِ عندَ إقامةِ الحُجَّةِ عَلَيْهِم:

مِنْ سُنَنِ الله التي جعلها في أهل الباطِلِ: لُجوؤهم إلىٰ القوة والبطش والتعذيبِ والتنكيلِ بأهل الحقِّ، كما قال تعالىٰ علىٰ لسانِ فرعون: ﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ٧١]، ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الشعراء: ٤٩]، ﴿قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]، ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩]، ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ﴾ [غافر: ٢٥]، وهذه عادةٌ وسنةٌ معروفةٌ عند أهل الباطِلِ أنهم عند عدم استطاعتهم علىٰ الحوارِ وإقامة الحجج، يَلجئون إلىٰ القوةِ والبطش، وهذه ليست مِنْ سُنَّةٍ وعادة أهل الإيمانِ كما سار عليه أنبياءُ اللهِ وأتباعُهُم إلىٰ يوم الدين، وهذه سُنَّةٌ أغلبيَّةٌ، فقد يلجَأُ أهلُ الباطِلِ إلىٰ اللِّينِ واستخدامِ بعض الأساليب التي يكونُ فيها خِداعٌ وإظهار المودَّة والمحبَّة لِتأليفِ قلبِ المسلم وكسبِ رِضاهُ، للاستفادةِ من مالِهِ أو تخفيفِ عداوَتِه ونحوِ ذلك.

◆ ٥٢- شدَّةُ حرص بني إسرائيل والمشركين على الحياةِ الدُّنيا وشدَّةُ كراهيتهم للموت:

مِنْ سُنَنِ اللهِ التي جعلها في الكفار بشكل عامٍّ وفي اليهودِ بشكلٍ خاص: شدَّةُ حرصهم علىٰ الحياةِ وشدةُ كراهيتهم للموتِ، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٥﴾ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ

ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمۡ لَوۡ يُعَمَّرُ أَلۡفَ سَنَةٖ وَمَا هُوَ بِمُزَحۡزِحِهِۦ مِنَ ٱلۡعَذَابِ أَن يُعَمَّرَۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ﴾ [البقرة: ٩٤-٩٦]، وهذه السنة والعادةُ ممَّا عوقِبَ به بنو إسرائيلَ ومَن شابَهَهُم مِمَّن ابتعد عن هدي اللهِ وشريعتِهِ، كما قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يُوشِكُ الأُمَمُ أَنْ تَدَاعَىٰ عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَىٰ الأَكَلَةُ إِلَىٰ قَصْعَتِهَا، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ المَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمُ الوَهْنَ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الوَهْنُ؟ قَالَ: حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ المَوْتِ**»(١).

◆ ٥٣- قِلَّةُ من يُؤمِنُ بالرسُلِ، وكثرة الكافرين:

مِنْ سُنَنِ الله تعالىٰ في النَّاس أنه: جعلَ المُؤمنين والصالحينَ والشاكرينَ قِلَّةً، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ﴾ [البقرة: ٨٣]، ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعۡنَا وَعَصَيۡنَا وَٱسۡمَعۡ غَيۡرَ مُسۡمَعٖ وَرَٰعِنَا لَيَّۢا بِأَلۡسِنَتِهِمۡ وَطَعۡنٗا فِي ٱلدِّينِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَا وَٱسۡمَعۡ وَٱنظُرۡنَا لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَقۡوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء: ٤٦].

ومِنْ سُنَنِه ﷻ أنه جعلَ أكثرَ الناسِ كافرينَ به سبحانه معرضينَ عن هديِه، لِضَعْفِ خِلْقَتِهم التي شاءَ اللهُ ﷻ أن يخلقَهُم ويجبلَهُم عليها، ومن الأوصاف التي وُصِفَ بها الكثرةُ في بني إسرائيلَ: نَفيُ الإيمان: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ

(١) رَواهُ أبو داود في سننه: كِتَابُ: المَلَاحِم، بابُ: فِي تَدَاعِي الأُمَمِ عَلَىٰ الإِسْلَامِ، (رقم:٤٢٩٧) وأحمد في مسنده (رقم:٨٧١٣) وصحَّحَهُ الألبانيُّ في السلسلة الصحيحة (٢/ ٦٤٧).

مِّنْهُمْ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [البقرة: ١٠٠]، ونفي الشُّكر: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [البقرة: ٢٤٣]، ونفي العلم: ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣١].

ومِن الأوصافِ التي وُصِفوا بها: كثرةُ الفِسْقِ فيهم: ﴿وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ ۖ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴾ [الأعراف: ١٠٢]، وكثرةُ أكلِهم أموال الناس بالباطِلِ والصَّدِّ عن سبيل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣٤].

◆ ٥٤- الباطلُ مهما عَلَا مَصيرُهُ إلى الزَّوال:

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الزخرف: ٥١]، أخبر ﷻ: أنَّ فرعونَ علا في الأرضِ وتكبَّر وتجبَّر، وأُعطي من خزائنِ الأرضِ الشيءَ الكثير، وعظُمَ في نفسِهِ وفي قومه حتىٰ ادَّعَىٰ الأُلوهيَّة، ولكن مِنْ سُنَّةِ الله تعالىٰ: أنه ما ارتفعَ باطلٌ أو فسادٌ ونحوها إلا وزال واضْمَحَلَّ، فأهلك اللهُ فرعونَ وقومَهُ كما قال تعالىٰ: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٧]، ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ ﴾ [الأنفال: ٥٤].

وكما حصل في التحدي الذي بين موسىٰ وفرعون: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴾ [الأعراف: ١١٧-١٢٠]، فقد دَلَّتْ الآياتُ

عَلَىٰ أَنَّ مِنْ سُنَّةِ الله تعالىٰ: أنَّ الحقَّ له القوةُ والنفوذُ، والباطلَ فيه الخذلانُ والصغارُ، ومصيرُهُ إلىٰ الزوال، كما قال تعالىٰ: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨].

المَطْلَبُ السّادِسُ:
السُّنَنُ المُتَعَلَّقَةُ بالجزاء

٥٥- الجَزاءُ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ:

رزقَ اللهُ فرعونَ العلوَّ في الأرض والغِنَىٰ والرِّئاسَةَ، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [القصص: ٤]، ﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الزخرف: ٥١]، وطَغىٰ فرعونُ ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [القصص: ٣٩]، ولكن مِنْ سُنَّةِ اللهِ تعالىٰ: أن الجزاءَ من جِنْسِ العملِ، فأذلَّهُ اللهُ وأهانه، قال تعالىٰ: ﴿فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ۝٥٧ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء: ٥٧-٥٨]، ﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعًا﴾ [الإسراء: ١٠٣]، ﴿فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ﴾ [القصص: ٤٠]، أخبرَ اللهُ في هذه الآياتِ أنَّه أخرج فرعونَ وقومَهُ من جنَّاتهم ومزارعِهم وكنوزِهم وأموالِهم ومقامِهم الكريم الذي كانوا يعيشونَ فيه، وأخبر ﷻ: أنَّه أغرقهم وأذلَّهم بنبذِهم باليمِّ، وكل ذلك فيه إذلالٌ لهم ومُجازاةٌ لهم علىٰ استكبارِهم وإخراجِ بني إسرائيل وإذلالهم، دلالةً علىٰ سُنَّةِ اللهِ تعالىٰ بِمُجازاتِهم من جِنْسِ أعمالِهم.

٥٦- المغفرةُ والتَّوبةُ لمَن آمَنَ وعملَ عملًا صالحًا:

﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ [طه: ٧٣]، ﴿إِنَّا نَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٥١]، وردتْ هاتان الآيتانِ علىٰ لسانِ السحرة الذين آمنوا مع موسىٰ، وفيها تقريرٌ لسنةِ اللهِ تعالىٰ، في أنَّ مَن آمنَ به، استحقَّ مغفرتَهُ ﷻ.

﴿وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [النمل: ١٠-١١]، في هذه الآيةِ زيادةُ معنىٰ علىٰ الآيتينِ السابقتينِ، وهو: أنهُ لا بُدَّ مِن فعلِ الأعمالِ الصالحةِ الحسنةِ بعدَ التَّوبةِ، قال السمرقنديُّ: أي: فَعَلَ إحسانًا بَعْدَ سُوءٍ أي: بعدَ إساءَتِهِ، فَإِنِّي: غَفُورٌ رَحِيمٌ(١)، وقال ابنُ عطيّة: وقوله: ﴿ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا﴾ معناه: عَمَلاً صالحًا مُقترنًا بتوبةٍ، وهذهِ الآيةُ تقتضي حَتْمَ المغفرةِ للتائبِ(٢).

﴿وَإِذۡ قِيلَ لَهُمُ ٱسۡكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةَ وَكُلُواْ مِنۡهَا حَيۡثُ شِئۡتُمۡ وَقُولُواْ حِطَّةٞ وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا نَّغۡفِرۡ لَكُمۡ خَطِيٓـَٰتِكُمۡۚ سَنَزِيدُ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٦١]، في هذه الآيةِ: لما جاء فعلُ الشرطِ في دخولِ بيتِ المقدسِ والاستغفارِ، جاء جواب الشرطِ: بالوعدِ بمغفرةِ الخطايا وزيادةِ المحسنين وهم المطيعون لله علىٰ ما وُعِدُوا من غُفْرانِ الخطايا(٣).

---

(١) انظر: بحر العلوم لِلسّمرقنديّ (٢/ ٥٧٤).

(٢) انظر: المُحرّر الوجيز لابنِ عطيَّة (٤/ ٢٥١).

(٣) انظر: جامع البَيانِ للطَّبريّ (١٣/ ١٧٨).

◆ ٥٧- مُجازاة المُحْسِن بالحُكْم والعِلْم:

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [القصص: ١٤]، قال الطبري: يقول تعالىٰ ذكرُه: كما جَزينا موسىٰ علىٰ طاعتِهِ إيَّانا وإحسانِهِ بصبرِهِ علىٰ أمرِنا، كذلك نجزي كُلَّ مَنْ أَحْسَنَ مِن رُسُلِنا وعبادِنا، فصبرَ علىٰ أمرِنا وأطاعنا، وانْتَهىٰ عمَّا نهيناهُ عنْهُ(١). وهذا من سُنَّتِه ﷻ أنه: يجزي المُحسنَ، فمنهم من يُجازيه بالعلمِ ومنهم من يُجازيه بالحِكمةِ أو القوةِ أو النصرِ أو الرِّفعة أو الذِّكرِ الحسنِ، حسب ما تقتضيه حكمته ﷻ.

◆ ٥٨- مُضاعفةُ الأُجورِ للمُحسنِ وزيادتها:

﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ٥٨].

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰتِكُمْ ۚ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٦١]، دَلَّتْ هاتان الآيتان عَلَىٰ أَنَّ مِنْ سُنَنِ اللهِ: كرمه وفضلُهُ بِمُضاعفة الأجورِ وزيادة المحسنين لبني إسرائيل وغيرهم من المؤمنين، ويدلُّ علىٰ هذه السنة قوله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَىٰ سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَىٰ أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ**»(٢).

---

(١) انظر: جامع البَيانِ للطَّبريّ (١٩/ ٥٣٦).

(٢) مُتَّفَقٌ عَلَيْه، رَواهُ البُخارِيُّ في صَحِيحِهِ: كِتَابُ: الرِّقَاقِ، بابُ: مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ أَوْ بِسَيِّئَةٍ، (رقم٦٤٩١)، ومُسْلِمٌ في صَحِيحِهِ: كِتَابُ: الإِيمَان، بابُ: إِذَا هَمَّ العَبْدُ بِحَسَنَةٍ كُتِبَتْ، وَإِذَا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ لَمْ تُكْتَبْ، (رقم١٣١).

◆ ٥٩- إثابةُ المُحْسِنِ على إحسانه ومُجازاةُ المُسيءِ على إساءته يوم القيامة:

مِنْ سُنَنِ اللهِ تعالىٰ: أنَّه لا يدعُ أحدًا من المُكلفينَ يومَ القيامةِ إلا ويُحاسبُه ويُجازيه، فيُثيبُ المحسنين علىٰ إحسانِهم، ويجزي ويُعاقبُ المسيئين علىٰ إساءتهم، كما دَلَّ عَلىٰ ذلك الآيات التي وردت في قصة موسىٰ وبني إسرائيل وهي: قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [طه: ٧٤-٧٦]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـُٔونَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]، ﴿بَلَىٰ ۚ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٨١-٨٢]، ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ٨٦]، ﴿وَقَالُوا۟ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ ۚ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١١-١١٢]، ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآءِ ٱلْءَاخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٤٧]، ﴿قَالَ عَذَابِىٓ أُصِيبُ بِهِۦ مَنْ أَشَآءُ ۖ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، ﴿وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠]، ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾ [الإسراء: ٧]، ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ [طه: ١٥]،

٦٠- الانتقامُ مِنْ أعداءِ اللهِ وأعداءِ أنبيائه:

مِنْ سُنَنِ اللهِ تعالىٰ: أنَّ اللهَ ينتقمُ مِمَّن يُعادِيهِ ويُعرض عن دينِهِ وشريعتِهِ، والانتقامُ له صورٌ كثيرةٌ، وما ورد في قصةِ موسىٰ: إمَّا بالإغراقِ كما في قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٥٥ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ﴾ [الزخرف: ٥٥-٥٦]، ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٠]، ﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ۝٦٥ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ﴾ [الشعراء: ٦٥-٦٦]، ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الذاريات: ٤٠]، ﴿فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا﴾ [الإسراء: ١٠٣]، ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾ [الدخان: ٢٤].

وإمَّا بالإخراجِ من الديارِ: ﴿فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٥٧ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٥٨ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ٥٧-٥٩].

وإمَّا بتخريبِ ديارهم وأبنيتهم: ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٥-١٣٧].

وإمَّا بِمَسْخِهِم: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ۝١٦٥ فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [الأعراف: ١٦٥-١٦٦].

وإمَّا بإدخالهم النَّارَ يوم القيامةِ، وهذا يشمل جميع بني آدمَ ممَّن مات علىٰ الكفرِ: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ۝٤٥ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥-٤٦].

٦١- مُعاقبةُ مَنْ صدَّ عن دين اللهِ وكذَّبَ شريعتَهُ:

مِنْ سُنَّةِ اللهِ أنَّ التكذيب بدينِ اللهِ والصدَّ عنه مِنْ أسْبابِ عقابِ اللهِ، وأنَّه ﷻ يعاقِبُهُم:

إمَّا بتعذيبهم: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖۖ وَقَدۡ خَابَ مَنِ ٱفۡتَرَىٰ﴾ [طه: ٦١]، ﴿إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [طه: ٤٨].

وإمَّا بإهلاكهم: ﴿فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنۡهَا مَن لَّا يُؤۡمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرۡدَىٰ﴾ [طه: ١٦]، قال ابن قتيبة: أي تَهلِك. والرَّدَىٰ: الموت والهلاك(١). ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡلَكِينَ﴾ [المؤمنون: ٤٨].

وإمَّا بتدميرِهم وأخْذِهم: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَجَعَلۡنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرٗا ۝٣٥ فَقُلۡنَا ٱذۡهَبَآ إِلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرۡنَٰهُمۡ تَدۡمِيرٗا﴾ [الفرقان: ٣٥-٣٦]، ﴿وَلَقَدۡ جَآءَ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ ٱلنُّذُرُ ۝٤١ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذۡنَٰهُمۡ أَخۡذَ عَزِيزٖ مُّقۡتَدِرٍ﴾ [القمر: ٤١-٤٢].

٦٢- مُعاقبة مَن يَطلُبُ الآياتِ لأجْلِ التَّعنُّتِ والتحدِّي:

﴿يَسۡـَٔلُكَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيۡهِمۡ كِتَٰبٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِۚ فَقَدۡ سَأَلُواْ مُوسَىٰٓ أَكۡبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓاْ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلۡمِهِمۡ﴾ [النساء: ١٥٣]، في هذه الآيةِ طلب بنو إسرائيل من نبينا محمدٍ ﷺ أن يُنزلَ عليهم كتابًا مكتوبًا من السماءِ، وقيل: إنَّ اليهودَ سألوا النبيَّ ﷺ أن يصعدَ إلىٰ السماء وهم يرونَه بلا كتابٍ، وينزلَ ومعهُ كتابٌ تعَنُّتًا(٢). وقد سألوا موسىٰ ما هو أكثر من ذلك كطلبِهم رؤيةَ اللهِ

(١) انظر: غريب القرآن لابن قتيبة (ص٢٧٨).

(٢) انظر: الهداية إلىٰ بلوغِ النِّهاية لِمكيّ (٢/ ١٥١٤).

تعالىٰ، فعوقبوا بالصاعقةِ وهي نارٌ أحرقتهم، وذلك بسببِ تعنُّتِهم وتَجاوزِهم حدودَهم وما شرعه اللهُ لهم.

﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الزخرف: ٥٢-٥٥]، في هذه الآياتِ طلب فرعونُ وبنو إسرائيلَ أن يُلقِي اللهُ علىٰ موسىٰ أسورةً من ذهبٍ من السماءِ يتسوَّرُ بهما كعادةِ ملوكِهم، أو تأتي الملائكةُ متتابعين يسيرونَ معه ويعضدونَه. قال القرطبيُّ: فَأَوْهَمَ قَوْمَهُ أَنَّ رُسُلَ اللهِ يَنْبَغِي أَنْ يكونوا كَرُسُلِ المُلُوكِ فِي الشَّاهِدِ، وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ رُسُلَ اللهِ إِنَّمَا أُيِّدُوا بِالجُنُودِ السَّمَاوِيَّةِ(١). فعُوقِبوا بالإغراقِ وأهلكهم أجمعينَ؛ ولهذا دَلَّتْ هذه الآيات علىٰ أنَّ سُنَّةَ اللهِ فيمن يتعنت ويطلب الآيات للتعجيز أو للتحدي أو للتعنُّت، أنَّ اللهَ يُعاقِبه ويُجازيه.

◆ ٦٣- مُعاقبة مَن يُكثر الأسئلةَ ويتعنَّتْ في دينِ اللهِ بالمشقَّة عليه:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ ۖ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا ۖ وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُوا۟ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [البقرة: ٦٧-٧١]، لا يخفىٰ ما في قصةِ البقرةِ من التَّعنُّت في السؤالِ عن البقرةِ وصفتها

(١) انظر: الجامع لأحكامِ القُرآن للقُرطبيّ (٠٣/ ١٠٠).

ولونها، فشقَّ اللهُ عليهم، عن عبيدة: وَلَمْ تُؤْخَذِ البَقَرَةُ إِلَّا بِوَزْنِهَا ذَهَبًا، قَالَ: وَلَوْ أَنَّهُمْ أَخَذُوا أَدْنَىٰ بَقَرَةٍ لَأَجْزَأَتْ عَنْهُمْ(١).

ولذلك قال تعالىٰ لِأمةِ الإسلام: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَاۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٞ ١٠١ قَدۡ سَأَلَهَا قَوۡمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡ ثُمَّ أَصۡبَحُواْ بِهَا كَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ١٠١-١٠٢].

وقد بَوَّب البخاري في «صحيحه» بِـ: «بَاب مَا يُكْرَهُ مِنْ كَثْرَةِ السُّؤَالِ وَتَكَلُّفِ مَا لَا يَعْنِيهِ»(٢)، وساق الأحاديث في ذلك، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ النبيُّ ﷺ: «**ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ**»(٣).

وفي كل ما سبق من الأدلةِ دلالةٌ علىٰ سُنَّةِ اللهِ فيمن يُكثر الأسئلةَ للتعنُّتِ أو التَّشدُّقِ، أنَّها سببٌ للتشديدِ والمشقَّةِ عليه، ولذا نُهي المسلمون عن هذه الصفةِ كي لا يقعوا فيما وقع فيه بنو إسرائيل.

◆ ٦٤- التبديلُ والتحريفُ مِنْ أسْبابِ العذابِ والعقاب:

﴿فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ قَوۡلًا غَيۡرَ ٱلَّذِي قِيلَ لَهُمۡ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِجۡزٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظۡلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٢]، أخبر اللهُ أن بني إسرائيل بدَّلوا وغيَّروا وحرَّفوا ما أمرَهُم بِهِ، فعاقبَهُم اللهُ تعالىٰ علىٰ صنيعِهِم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ

(١) انظر: جامع البَيانِ للطَّبريّ (٢/ ٧٦).

(٢) انظر: صحيح البخاري (٩/ ٩٥)

(٣) رَواهُ مُسْلِمٌ في صَحِيحِهِ: كِتَابُ: الفَضَائِلِ، بابُ: تَوْقِيرِهِ ﷺ، وَتَرْكِ إِكْثَارِ سُؤَالِهِ عَمَّا لَا ضَرُورَةَ إِلَيْهِ، أَوْ لَا يَتَعَلَّقُ بِهِ تَكْلِيفٌ وَمَا لَا يَقَعُ، وَنَحْوِ ذَلِكَ، (رقم:١٣٣٧).

النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قِيلَ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٨]، فَدَخَلُوا يَزْحَفُونَ عَلَىٰ أَسْتَاهِهِمْ، فَبَدَّلُوا، وَقَالُوا: حِطَّةٌ، حَبَّةٌ فِي شَعَرَةٍ»(١).

دلت الأدلة على أنَّ سُنَّةَ اللهِ: فيمن يُبدِّلُ ويُحرِّفُ في دينِهِ أنَّه يُعاقِبُه كما عاقبَ بني إسرائيْل على تحريفِهم وتبديلهم كلامَ اللهِ وما جاءَهم من الأحكامِ والهُدىٰ.

◆ ٦٥- الجزاءُ لا يختصُّ بالآمرِ والقائدِ وإنما يشملُ المطيعَ والمستجيبَ:

﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الذاريات: ٤٠]، ﴿وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧]، ﴿فَٱتَّبَعُوٓا۟ أَمْرَ فِرْعَوْنَ ۖ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٧﴾ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ﴾ [هود: ٩٧-٩٨]، أخبر اللهُ تعالىٰ في هذه الآياتِ أنَّه عاقبَ فرعونَ ومن أطاعَهُ وانقادَ له واستجابَ لرأيِهِ، فشاركوه في العذابِ. قال الطبري: يَقْدُمُ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ يَقُودُهُمْ، فَيَمْضِي بِهِمْ إِلَىٰ النَّارِ حَتَّىٰ يُورِدُهُمُوهَا، وَيَصْلِيهِمْ سَعِيرَهَا(٢).

وفي هذا دلالةٌ علىٰ سُنَّةِ اللهِ: أنَّه يُعاقب ويُعذبُ الآمرَ والقائدَ والرئيسَ، ومن اتَّبعه وصدَّقه ورضي بعملِهِ، ولو لم يعملْ عَمَلَهُ، بل ويتبرَّأ الرؤساءُ -وعلىٰ رأسهم إبليس- مِن الذين اتَّبعوهم يوم القيامةِ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم﴾ [إبراهيم: ٢٢].

---

(١) مُتَّفَقٌ عَلَيْه، رَواهُ البُخارِيُّ في صَحِيحِهِ: كِتَابُ: تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بابُ: (وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ القَرْيَةَ..)، (رقم٤٤٧٩) ومُسْلِمٌ في صَحِيحِهِ: كِتَابُ: التَّفْسِيرِ، (رقم٣٠١٥).

(٢) انظر: جامع البَيانِ للطَّبريّ (١٢/ ٥٦٢).

٦٦- معاقبةُ المُعرِض عن دين الله بصرفه عن الهُدى وإمداده في ضلالته:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الصف: ٥].

قال الزجاج: أي: عدَلُوا عنِ الحق وانصرفوا عنه فأضلَّهم الله وَصَرَفَ قُلوبَهُمْ[(١)]. وقال القرطبي: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟﴾ أَيْ: مَالُوا عَنِ الحَقِّ ﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ أَيْ: أَمَالَهَا عَنِ الهُدَىٰ. وَقِيلَ: فَلَمَّا زاغُوا عَنِ الطَّاعَةِ أَزاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ عن الهداية، وَقِيلَ: فَلَمَّا زاغُوا عَنِ الإيمَانِ أَزاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ عَنِ الثَّوَابِ. وَقِيلَ: أَيْ لَمَّا تَرَكُوا مَا أُمِرُوا بِهِ مِنَ احْتِرَامِ الرَّسُولِ ﷺ وَطَاعَةِ الرَّبِّ، خَلَقَ اللهُ الضَّلَالَةَ فِي قلوبهم عقوبةً لهم علىٰ فِعْلِهِم[(٢)].

﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٦]، قال الطبري: إِنَّ اللهَ أَخْبَرَ أَنَّهُ سَيَصْرِفُ عَنْ آيَاتِهِ.. وَقَدْ عَمَّ بِالخَبَرِ أَنَّهُ يَصْرِفُ عَنْ آيَاتِهِ المُتَكَبِّرِينَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ، وَهُمُ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ اللهِ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ، فَهُمْ عَنْ فَهْمِ جَمِيعِ آيَاتِهِ وَالِاعْتِبَارِ وَالِادِّكَارِ بِهَا مَصْرُوفُونَ[(٣)]. وقال البغوي: يَعْنِي سَأَصْرِفُهُمْ عَنْ قَبُولِ آيَاتِي وَالتَّصْدِيقِ بِهَا، عُوقِبُوا بِحِرْمَانِ الهِدَايَةِ لِعِنَادِهِمْ لِلْحَقِّ.. وَقِيلَ: حُكْمُ الآيَةِ لِأَهْلِ مِصْرَ خَاصَّةً، وَأَرَادَ بِالآيَاتِ الآيَاتِ التِّسْعَ الَّتِي أَعْطَاهَا اللهُ

(١) انظر: معاني القرآن وإعرابُهُ للزّجاج (٥/ ١٦٤).

(٢) انظر: الجامع لأحكام القُرآن للقُرطبيّ (١٨/ ٨٢).

(٣) انظر: جامع البَيان للطَّبريّ (١٠/ ٤٤٣).

تَعَالَىٰ مُوسَىٰ، وَالأَكْثَرُونَ عَلَىٰ أَنَّ الآيَةَ عَامَّةٌ(١).

دلَّت الآيتان اللتان وردتا في بني إسرائيل عَلَىٰ أَنَّ مِنْ سُنَّةِ اللهِ فيمن أعرَضَ عن هُداه ودينِهِ المستقيمِ، إمَّا لفسقِهِ أو لظلمِه أو لتكبُّرِهِ، فإنَّ اللهَ يصرِفُهُ عن دينِه ويزيدُه في غيِّه وضلالِهِ، والآيةُ الواردَة في ذلك عامَّة علىٰ جميع البشر وليست خاصَّة ببني إسرائيل كما رجحه البغوي، ولِنزولِ هذه الآيةِ في أُمةِ محمدٍ ﷺ كما في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤-١٢٥].

◆ ٦٧- مَن نَسِيَ اللهَ نَسِيَهُ اللهُ تعالى:

﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٥]، قال ابن الجوزي: ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ﴾ يعني: تركوا ما وُعظوا به ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾ وهم: الناهون عن المنكر، و﴿ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ هم: المعتدون في السبت(٢). أخبر اللهُ تعالىٰ: أنَّه عاقبَ الفرقةَ التي نسيتْ أمرَ اللهِ وتركتْه عن عمدٍ، وهم الذين نُهوا عن الاصطيادِ يومَ السبتِ، فعاقبَهمُ اللهُ وجازاهُم علىٰ نسيانِهم، فنَسِيَهُم أي: تركَهُم ولم يُنَجِّهم مع مَنْ أنجاهُم من عبادِهِ المؤمنين، وفي هذه الآيةِ دلالةٌ علىٰ سُنَّةِ اللهِ فيمن نَسِيَ اللهَ وتركَ أمره ونهيه وترك طاعته، أنَّ اللهَ ينساهُ أي: يتركُه ويدَعُه فلا يُنْجيه ولا يُدخلُهُ في رحمته وتوفيقِه، ودَلَّ علىٰ هذه السُّنَّةِ صريحُ قوله تعالىٰ: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧].

(١) انظر: معالِم التَّنزيل للبَغويّ (٢/ ٢٣٤).

(٢) انظر: زاد المسير لابن الجوزي (٢/ ١٦٣)

٦٨- الشُّكرُ سببٌ للزيادةِ والبركةِ، والكُفرُ سببٌ للنقصِ والإحباطِ:

قال الله تعالىٰ علىٰ لسانِ موسىٰ[١] لبني إسرائيل: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

قال الماوردي: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ فيه ثلاثةُ تأويلات: أحدها: لئن شكرتم إنعامي لأزيدنكم من فضلي، قاله الربيع. الثاني: لئن شكرتم نعمتي لأزيدنكم من طاعتي، قاله الحسن وأبو صالح. الثالث: لئن وحَّدتم وأطعتم لأزيدنكم، قاله ابن عباس. ويحتمل تأويلًا رابعًا: لئن آمنتم لأزيدنكم من نعيم الآخرة إلىٰ نعيم الدنيا[٢].

وهذا فيه دلالةٌ علىٰ سُنَّةِ اللهِ في: الشكرِ أنَّه سببٌ للزيادةِ والبركةِ والخيرِ، وأنَّ الكُفرانَ سببٌ للنقصِ والإحباطِ والخُسرانِ.

(١) انظر: الكشاف للزمخشري (٢/ ٥٤١)، مَفاتيح الغَيْب للرّازيّ (١٩/ ٦٦)، الجامع لأحكامِ القُرآن للقُرطبيّ (٩/ ٣٤٣)، فَتح القَدير لِلشّوكانيّ (٣/ ١١٥).

(٢) انظر: النُّكَت والعُيون لِلماوَرديّ (٣/ ١٢٣).

الخَاتِمَةُ

الحمدُ للهِ والشُّكرُ له بإتمام بحث: «سُنَنِ اللهِ في قِصَّةِ مُوْسَىٰ وبَنِيْ إِسْرائِيْلَ في القُرْآنِ الكَرِيْمِ».

وقد تمَّ في هذا البحث التعريف بِسُنَنِ اللهِ في الشرعِ وهي: القوانينُ المُطَّرِدَة التي وضعها اللهُ لِنفْسِهِ وعلىٰ مخلوقاتِهِ، المَقطوعُ بِتَحَقُّقِها ما لم يَعرض لها مانعٌ.

وتمَّ بيانُ أنواعِ سُنَنِ اللهِ وهما: السُّنَنُ الطبيعية والسُّنَنُ الدينيَّة. وتم بيانُ: سُبلِ معرفةِ السُّنَنِ وفوائدِ معرفَتِها.

والسُّنَنُ المُستنبَطَةُ من قصَّةِ موسىٰ وبني إسرائيلَ (٦٨) سُنَّةً، وهي تتعلَّقُ بِستَّةِ محاوِرٍ:

المِحوَرُ الأوَّلُ: السُّنَنُ المُتَعَلَّقَةُ بالله ﷻ وتشتملُ علىٰ: (١٣) سُنَّة، والمِحوَرُ الثاني: السُّنَنُ المُتعلِّقَةُ بالإيمان وتشتملُ علىٰ (٨) سُنَنٍ، والمِحوَرُ الثالث: السُّنَنُ المُتعلِّقةُ بالدعوةِ وتشتملُ علىٰ (٦) سُنَنٍ، والمِحوَرُ الرابع: السُّنَنُ المُتعلِّقةُ بالنصرِ والتَّمكينِ وتشتملُ علىٰ (٤) سُنَنٍ، والمِحوَرُ الخامس: السُّنَنُ المُتعلِّقةُ بالكُفرِ والتَّكذيبِ وتشتملُ علىٰ (٢٣) سُنَّة، والمِحوَرُ السادس: السُّنَنُ المُتعلِّقةُ بالجَزاءِ وتشتملُ علىٰ (١٤) سُنَّة.

والسُّنَنُ الكُلِّيَّةُ (٦٤) سُنَّةً، والسُّنَنُ الأغلبيَّةُ (٤) سُنَنٍ.

وكُلُّ هذه السُّنَنِ قائمةٌ علىٰ عَدْلِ اللهِ وحِكْمَتِهِ ﷻ، والمسلمونَ بحاجَةٍ إلىٰ معرفةِ سُنَنِ اللهِ والعملِ بما فيها مِن رِضَىٰ اللهِ والفلاحِ والنَّجاحِ، والابتعادِ عن السُّنَنِ التي تؤدِّي لِسَخَطِ اللهِ والخُسرانِ والهلاكِ، ومِن **أَهَمِّ ما ينبغي التمسُّكُ بهِ مِمَّا تتضمَّنُه تلك السُّنَنُ**: أنَّ الصبر مِنْ أسْبابِ التَّمْكينِ وحُسْنِ العاقبة، وأنَّ اللهَ أَعطَىٰ الأمنَ والمعيَّةَ والرعايةَ لأوليائِهِ، وأنَّ الإيمانَ والتقوىٰ سببانِ أساسيَّانِ لاصطفاءِ اللهِ ورحمتِهِ، والإيمانُ مِن أعظمِ أسبابِ دفعِ البلاءِ، وأَنَّ اللينَ في الدعوةِ سببٌ في تقريبِ الناسِ لقبولِ الحقِّ، وأنَّ اللهَ ينصرُ ويُنجي ويُمكِّنُ لعبادِهِ المؤمنين، وأنَّ الشكر سببٌ للبركَةِ، والـمَغفرةُ والتوفيقُ خاصٌّ بِمن جمعَ بين الإيمانِ والعمل الصالح، وإثابةُ اللهِ لِلـمُحسِنِ وعدمُ إضاعَةِ أجرِ مَنْ أحسَنَ عملًا.

ومِن أهم ما ينبغي تجنُّبُ الوقوعِ فِيما تتضمَّنُه تلك السُّنَنُ: أنَّ الشركَ والظلمَ والطُّغيانَ من أسبابِ الهلاكِ والخُسرانِ، وأنَّ الكفرَ باللهِ سببٌ للعنةِ اللهِ وغَضَبِهِ وسببٌ لقَسْوةِ القلوبِ، وأنَّ مكرَ وكيْدَ أهلِ الباطِلِ بأهلِ الإسلامِ إلىٰ خسارٍ واضْمحلالٍ، وأنَّ الذي يصدُّ عن دينِ اللهِ ويُحارِبُ أولياءَهُ، يُعاقِبُهُ اللهُ وينتقِمُ منه، وأنَّ العلْمَ بدونَ عملٍ وبالٌ علىٰ صاحبِهِ، ومَنْ تعنَّتْ وبدَّل وحرَّفَ شَقَّ اللهُ عليه وعذَّبه، وأنَّ مَنْ رَضِيَ بالباطِلِ ولم يَعملْه شَملَهُ العقابُ، وأنَّ الكفرَ سببٌ لإحباطِ الأعمالِ، ومَنْ يتولَّ يستبدِلْه اللهُ بخيرٍ منْهُ، ومَنْ أرادَ أَنْ يضُرَّ اللهَ فإنما يضُرُّ نفسَهُ، ومَنْ نسيَ اللهَ نسِيَه اللهُ، نسأل الله السلامةَ والعافية.

وأَيُّ سنَّةٍ لم يرَ المسلمُ تتحقَّقها، فليُراجِعْ نفسَهُ ولْيتَّهِمْها، فإن سُنَنَ اللهِ لا تتخَلَّفُ إلا بوجودِ عوارِضَ تَحجزُها.

وفيما يلي أهم التوصيات:

أُوصي بدراسةِ سُنَن اللهِ في القرآن الكريم وشواهِدِها من السُّنَّةِ النبويَّةِ في موضوعاتٍ متنوعةٍ كالدَّعوةِ، والإيمان، والجهاد، والتَّدرُّجِ، والتَّعامُلِ مع الأولياءِ والأعداءِ، ونحو ذلك، ودراسةِ السُّنَنِ الإلهية في القصص القرآنيِّ كقصةِ نوح وصالح وثمود وإبراهيم ولوط ويوسف وعيسىٰ وغيرهم من الأنبياء، ودراسة السُّنَنِ الإلهية في غزوات النبي ﷺ والفتوحات والشئون الأسَرية والاجتماعية، الواردة في القرآنِ الكريمِ، وكذلك السُّنَنِ الإلهية في المؤمنين والكافرينَ والمنافقين ونحوهم، وأُوصي كذلك بدراسة السُّنَنِ الإلهية في سورةٍ من سورِ القرآنِ الكريمِ.

وصلىٰ الله وسلَّم علىٰ نبيِّنا محمد

ثبت المصادر والمراجع

١. **الإبانة الكبرى**، ابن بطة، أبو عبد الله عبيد الله العكبري، تحقيق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري، الرياض، دار الراية للنشر والتوزيع، د.ط. د.ت.

٢. **إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل**، الألباني، محمد ناصر الدين، بيروت، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٥هـ.

٣. **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، الشنقيطي، محمد الأمين، الرياض، دار عطاءات العلم، ط٥، ١٤٤١هـ.

٤. **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤١٨هـ.

٥. **بحر العلوم**، السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد، د.ط، د.ن، د.ت.

٦. **البحر المحيط في التفسير**، أبو حيان، محمد بن يوسف، تحقيق: صدقي محمد جميل، بيروت، دار الفكر، ١٤٢٠هـ. د.ط.

٧. **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، تحقيق: محمد علي النجار، لجنة إحياء التراث، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، القاهرة. د.ت.

٨. **تأويلات أهل السنة**، الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، تحقيق: د. مجدي باسلوم، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٦ هـ

٩. **التبيان في تفسير غريب القرآن**، ابن الهائم، أحمد بن محمد، تحقيق: د ضاحي عبد الباقي محمد، بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٢٣هـ.

١٠. **التحرير والتنوير**، ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر، تونس، الدار

التونسية للنشر، طبعة: ١٩٨٤هـ.

١١. **التعريفات**، الجرجاني، علي بن محمد، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٣هـ.

١٢. **تفسير القرآن العظيم**، ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس تحقيق: أسعد محمد الطيب، السعودية، مكتبة نزار مصطفىٰ الباز، ط٣، ١٤١٩هـ.

١٣. **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير، إسماعيل بن عمر، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ.

١٤. **تفسير المنار**، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، طبعة: ١٤١٠هـ.

١٥. **تفسير مقاتل**، مقاتل بن سليمان، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، بيروت، دار إحياء التراث، ط١، ١٤٢٣هـ.

١٦. **تهذيب اللغة**، الأزهري، محمد بن أحمد، تحقيق: محمد عوض مرعب، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢١هـ.

١٧. **التوقيف علىٰ مهمات التعاريف**، المناوي، زين الدين محمد بن علي، تحقيق: عبد الخالق ثروت، القاهرة، عالم الكتب، ط١، ١٤١٠هـ.

١٨. **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.

١٩. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، الطبري، محمد بن جرير، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط١، ١٤٢٢هـ.

٢٠. **جامع الرسائل**، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، تحقيق: محمد سالم رشاد، الرياض، دار العطاء، ط١، ١٤٢٢هـ.

٢١. **الجامع لأحكام القرآن**، القرطبي، محمد بن أحمد، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة، دار الكتب المصرية، ط٢، ١٣٨٤هـ.

٢٢. **جمهرة اللغة**، ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، بيروت، دار العلم للملايين، ط١، ١٩٨٧م.

٢٣. **الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح**، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، تحقيق: علي بن حسن – عبد العزيز بن إبراهيم – حمدان بن محمد، السعودية، دار العاصمة، ط٢، ١٤١٩هـ.

٢٤. **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون**، السمين الحلبي، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، تحقيق: أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق. د.ت.

٢٥. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، الألوسي، محمود بن عبد الله، تحقيق: علي عبد الباري عطية، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ.

٢٦. **زاد المسير في علم التفسير**، ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٢٢هـ.

٢٧. **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، الألباني، محمد ناصر الدين، الرياض، مكتبة المعارف، ط١. د.ت.

٢٨. **السنة**، ابن أبي عاصم، أبوبكر أحمد الشيباني، تحقيق: الألباني، بيروت، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠٠هـ.

٢٩. **سنن ابن ماجة**، ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، د.ت.

٣٠. **سنن أبي داوُد**، أبو داوُد، سليمان السجستاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، صيدا، المكتبة العصرية. د.ت.

٣١. **السنن الكبرىٰ**، البيهقي، أحمد بن الحسين، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٣، ١٤٢٤هـ.

٣٢. **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، اللالكائي، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، السعودية، دار طيبة، ط٨، ١٤٢٣هـ.

٣٣. **الصحاح**، الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت، دار العلم للملايين، ط٤، ١٤٠٧هـ.

٣٤. **صحيح البخاري**، محمد بن إسماعيل، تحقيق: محمد زهير بن ناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

٣٥. **صحيح مسلم**، مسلم بن الحجاج، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء التراث العربي. د.ت.

٣٦. **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، السمين الحلبي، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ.

٣٧. **غرائب القرآن ورغائب الفرقان**، النيسابوري، الحسن بن محمد، تحقيق: زكريا عميرات، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٦هـ.

٣٨. **غريب القرآن**، ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، طبعة: ١٣٩٨هـ.

٣٩. **فتح القدير**، الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، بيروت، دار ابن كثير، دمشق، ودار الكلم الطيب، ط١، ١٤١٤هـ.

٤٠. **الكامل في التاريخ**، ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤١٧هـ.

٤١. **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو، بيروت، دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٠٧هـ.

٤٢. **كشف الأسرار شرح أصول البزدوي**، علاء الدين البخاري، عبد العزيز بن أحمد، دار الكتاب الإسلامي، د.ط، د.ت.

٤٣. **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، أبو البقاء، أيوب بن موسىٰ الكفوي، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، بيروت، مؤسسة الرسالة، د.ط، د.ت.

٤٤. **لسان العرب**، ابن منظور، محمد بن مكرم، بيروت، دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ.

٤٥. **مجموع الفتاوىٰ**، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، طبعة: ١٤١٦هـ.

٤٦. **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ابن عطية، عبد الحق بن غالب، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٢هـ.

٤٧. **المحصول، الرازي**، أبو عبد الله محمد بن عمر، دراسة وتحقيق: الدكتور طه جابر فياض العلواني، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤١٨هـ.

٤٨. **المختصر في أصول الحديث**، الجرجاني، علي بن محمد، تحقيق: علي زوين، الرياض، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٠٧هـ.

٤٩. **مسند أحمد**، أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ.

٥٠. **مصطلح الحديث**، ابن عثيمين، القاهرة، مكتبة العلم، ط١، ١٤١٥هـ.

٥١. **المُصنَّف في الأحاديث والآثار**، ابن أبي شيبة، أبو بكر عبد الله بن محمد، تحقيق: كمال يوسف الحوت، الرياض، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٠٩هـ.

٥٢. **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط١، ١٤٢٠هـ.

٥٣. **معاني القرآن وإعرابه**، الزجاج، إبراهيم بن السري، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، بيروت، عالم الكتب، ط١، ١٤٠٨هـ.

٥٤. **مفاتيح الغيب**، الرازي، محمد بن عمر التميمي، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢١هـ.

٥٥. **المفردات في غريب القرآن**. الأصفهاني، الحسين بن محمد، تحقيق: صفوان عدنان، دار القلم، ط١، ١٤١٢هـ.

٥٦. **مقاييس اللغة**، ابن فارس، أحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر، طبعة: ١٣٩٩هـ.

٥٧. **منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية**، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، تحقيق: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٠٦هـ.

٥٨. **المُوطّأ**، مالك بن أنس، تحقيق: محمد مصطفىٰ الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان، ط١، ١٤٢٥هـ.

٥٩. **النُّبُوَّات**، ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم، تحقيق: عبد العزيز بن صالح الطويان، الرياض، أضواء السلف، ط١، ١٤٢٠هـ.

٦٠. **النكت والعيون**، الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، بيروت، دار الكتب العلمية، د.ط، د.ت.

٦١. **الهداية إلىٰ بلوغ النهاية**، مكيّ، مكي بن أبي طالب حَمّوش، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي بإشراف الشاهد البوشيخي، الشارقة، مجموعة بحوث الكتاب والسنة، ط١، ١٤٢٩هـ.

٦٢. **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، النيسابوري، أبو الحسن علي بن أحمد، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دمشق- بيروت، دار القلم- الدار الشامية، ط١، ١٤١٥ هـ.

٦٣. **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وآخرون، بيروت، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ.

References and Sources

1. ***Al-Ibanah Al-Kubra,*** Ibn Battah, Abu Abdullah Obaid Allah Al-Akbari, Investigated by: Reda Muati, Othman Al-Ethiobi, Youssef Al-Wabel, Al-Waleed bin Saif Al-Nasr, Hamad Al-Tuwaijri, Riyadh, Dar Al-Raya for Publishing and Distribution, no edition number, without publishing date.
2. ***Irwao Al-Ghalil fi tahqiq Ahadith Manar Al-Sabil***, Al-Albani, Mohammed Nasir Al-Din, 2nd edition, Beirut, the Islamic Office, 1405 AH.
3. ***Adhwaa al-Bayan fi Idahul Qur'an bil-Qur'an,*** Al-Shanqeeti, Mohammed Al-Amin, 5th Edition, Riyadh, Dar Attaat Al-Ilm, 1441 AH.
4. ***Anwaro Al-Tanzeel wa Asraru Al-Taweel***, Al-Baydawi, Nasser Al-Din Abu Saeed Abdullah bin Omar, Investigated by: Mohammed Abdul Rahman Al-Mara'ashli, 1st Edition, Beirut, Dar Ihia Atturath Alarabi, 1418 AH.
5. ***Bahr al-Ulum,*** Al-Samarqandi, Abu Al-Laith Nasr bin Mohammed bin Ahmed, no edition number, without publishing date
6. ***Al-Bahru Al-Moheet fi Al-Tafseer***, Abu Hayyan, Mohammed bin Youssef, Investigated by: Sidqi Mohammed Jamil, Beirut, Dar Al-Fikr, 1420 AH. Without publishing date.
7. ***Basairu Awoli At-tameez fi Lataifu el-Kitabi Al-Aziz***, Al-Fayrouzabadi, Mohammed bin Yaqoub, Investigated by: Mohammed Ali Al-Najjar, Heritage Revival Committee, Supreme Council of Islamic Affairs, Cairo. No publishing date.
8. ***Ta'wilat Ahl al-Sunnah,*** Al-Maturidi, Mohammed bin Mohammed bin Mahmoud, Investigated by: Dr. Majdi Basloum, 1st Edition, Beirut, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1426 AH

9. ***Al-Tibayan fi Tafseer Gharib Al-Qur'an,*** Ibn Al-Haim, Ahmed bin Mohammed, Investigated by: Dr. Dhahi Abdel-Baqi Mohammed, 1, Beirut, Dar Al-Gharb Al-Islami, 1423 AH.

10. ***Al-Tahrir wat Tanwir***, Ibn Ashour, Mohammed Al-Taher bin Mohammed bin Mohammed Al-Taher, Tunisia, Tunisian Publishing House, Edition: 1984.

11. ***Al-Tarifat,*** Al-Jerjani, Ali bin Mohammed, 1st Edition, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1403 AH.

12. ***Tafseer Al-Quran Alazeem***, Abu Mohammed Abd al-Rahman ibn Mohammed ibn Idris, Investigated by: Asaad Mohammed al-Tayyib, 3rd Edition, Saudi Arabia, Nizar Mustafa al-Baz Library, 1419 AH.

13. ***Tafseer Al-Quran Alazeem***, Ibn Kathir, Ismail bin Omar, Investigated by: Sami bin Mohammed Salama, 2nd edition, Dar Taiba, 1420 AH.

14. ***Tafseer Al-Manar***, Mohammed Rashid Rida, General Egyptian Book Authority, Edition: 1410 AH.

15. ***Tafseer Muqatil***, Muqatil bin Suleiman, Investigated by: Abdullah Mahmoud Shehata, 1st edition, Beirut, Dar Ihya Al-Turath, 1423 AH.

16. ***Tahzeebul Loghah***, Al-Azhari, Mohammed bin Ahmed, Investigated by: Mohammed Awad Mereb, 1, Beirut, Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi, 1421 AH.

17. ***Al-Tawqif ala Mahamat Al-Taareef***, Al-Manawi, Zain Al-Din Mohammed Bin Ali, Investigated by: Abdel-Khaleq Tharwat, 1st edition, Cairo, Alam Al-Kutub, 1410 AH.

18. ***Tayseer Al-Karim Al-Rahman fi Tafseer Kalam Al-Mannan*** , Al-Saadi, Abdul Rahman bin Nasser, Investigated by: Abdul Rahman Al-Luhaiq, 1st Edition, Al-Resala Foundation, 1420 AH.

19. ***Jamei' al-Bayan a'n Taweel Aye Al-Quran***, Al-Tabari, Mohammed ibn Jarir, Investigated by: Abdullah ibn Abd al-Muhsin al-Turki, 1st edition, Dar Hajar, 1422 AH.

20. ***Jamei Al-Rasaeil,*** Ibn Taymiyyah, Ahmed bin Abdul Halim, Investigated by:

Mohammed Salem Rashad, 1st edition, Riyadh, Dar al-Atta, 1422 AH.

21. ***Al-Jamei Li' Ahkam Al-Quran***, Al-Qurtubi, Mohammed bin Ahmed, Investigated by: Ahmed Al-Bardouni and Ibrahim Atfayesh, 2nd Edition, Cairo, Dar Al-Kutub Al-Masryah, 1384 AH.
22. ***Jamhartu- al-Lughah*** , Bin Duraid, Abu Bakr Mohammed Bin Al-Hassan, Investigated by: Ramzi Mounir Baalbaki, 1st Edition, Beirut, Dar Al-Ilm Lilmalaeen, 1987 AD.
23. ***Answering those who altered the religion of Jesus Christ***, Ibn Taymiyyah, Ahmed bin Abdul Halim, investigated by: Ali bin Hassan - Abdul Aziz bin Ibrahim - Hamdan bin Mohammed, 2nd edition, Saudi Arabia, Dar Al-Asima, 1419 AH.
24. ***Al-Durr Al-Masoon fi Al-Ulum Al-Kitab Al-Maknon***, Al-Samin Al-Halabi, Ahmed bin Youssef bin Abdul-Daim, Investigated by: Ahmed Mohammed Al-Kharrat, Dar Al-Qalam, Damascus. without publishing date
25. ***Ruhul-Maani fi-Tafseer Al-Quran Al-Azeem wa-Assabei' ul-Mathani***, Al-Alusi, Mahmoud bin Abdullah, Investigated by: Ali Abdel-Bari Attia, 1st edition, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1415 AH.
26. ***Zadul-Massir fi Elm Attafseer***, Ibn al-Jawzi, Abd al-Rahman ibn Ali, investigated by by: Abd al-Razzaq al-Mahdi, 1st edition, Beirut, Dar al-Kitab al-Arabi, 1422 AH.
27. ***Series of Authentic Hadiths with Certain of their Jurisprudence and Benefits***, Al-Albani, Mohammed Nasir Al-Din, 1st Edition, Riyadh, Al-Maaref Library. without publishing date
28. ***Al-Sunnah***, Ibn Abi Asim, Abu Bakr Ahmad Al-Shaibani, Investigated by: Al-Albani, 1st Edition, Beirut, Islamic Office, 1400 AH.
29. . ***Sunan Ibn Majah***, Ibn Majah, Mohammed Ibn Yazid al-Qazwini, Investigated by: Mohammed Fouad Abd al-Baqi, Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi, without publishing date

30. ***Sunan Abi Dawood***, Abu Dawood, Suleiman Al-Sijistani, Investigated by: Mohammed Muhyi Al-Din Abd Al-Hamid, Sidon, Al-Mataba Al-Asriyah. without publishing date

31. ***Al-Sunan Al-Kubra***, Al-Bayhaqi, Ahmed bin Al-Hussein, Investigated by: Mohammed Abdul-Qadir Atta, 3rd edition, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1424 AH.

32. ***Sharhu Asol Etiqad Ahlu al-Sunnah wal-Jama'ah***, Al-Lalaka'i, Abu al-Qasim Hebat Allah bin Al-Hassan bin, Investigated by: Ahmed bin Saad bin Hamdan Al-Ghamdi, 8th edition, Saudi Arabia, Dar Taiba, 1423 AH.

33. ***Al-Sehah***, Al-Jawhari, Abu Nasr Ismail bin Hammad, Investigated by: Ahmed Abdel Ghafour Attar, 4th edition, Beirut, Dar Al-Ilm Lilmalaen, 1407 AH.

34. ***Sahih Al-Bukhari***, Mohammed bin Ismail, Investigated by: Mohammed Zuhair bin Nasser, 1st edition, Dar Tawq Al-Najat, 1422 AH.

35. ***Sahih Muslim***, Muslim bin Al-Hajjaj, Investigated by: Mohammed Fouad Abdel-Baqi, Beirut, Dar Ihia Atturath Alarabi. without publishing date

36. ***Umdat al-Hoffaz fi Tafseer Ashraf al-alfaz***, al-Samin al-Halabi, Ahmed bin Youssef bin Abdul-Daim, Investigated by: Mohammed Basil Oyoun al-Soud, 1st edition, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, 1417 AH.

37. ***Gharaib Al-Quran wa Raghaibu al-Furqan***, Al-Nisaburi, Al-Hassan bin Mohammed, Investigated by: Zakaria Omeirat, 1st edition, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1416 AH.

38. ***Gharib Al-Quran,*** Ibn Qutayba, Abdullah bin Muslim, Investigated by: Ahmed Saqr, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, Edition: 1398 AH.

39. ***Fath al-Qadir,*** Al-Shawkani, Mohammed bin Ali bin Mohammed, 1st edition, Beirut, Dar Ibn Katheer, Damascus, and Dar al-Kalam al-Tayyib, 1414 AH.

40. ***Al-Kamel fi Al-Tarekh***, Ibn Al-Atheer, Abu Al-Hasan Ali bin Abi Al-Karam, Investigated by: Omar Abdel Salam Tadmuri, 1st edution, Beirut, Dar Al-Kitab Al-Arabi, 1417 AH.

41. ***Al-Kashf a'n Haqai Ghawamid Altanzeel***, Al-Zamakhshari, Abu Al-Qasim Mahmoud bin Amr, 3rd edition, Beirut, Dar Al-Kitab Al-Arabi, 1407 AH.

42. ***Kashf al-Asrar, Sharhu Usol al-Bazdawi***, Alaa al-Din al-Bukhari, Abdul Aziz bin Ahmed, Dar al-Kitab al-Islami, no edition number, without publishing date

43. ***Al-Kolliyat*** (A Dictionary of Terminology and Linguistic Differences), Abu Al-Baqa, Ayoub bin Musa Al-Kafwi, Investigated by: Adnan Darwish and Mohammed Al-Masri, Beirut, Al-Resala Foundation, no edition number, without publishing date.

44. ***Lisanul Arab***, Ibn Manzoor, Mohammed bin Makram, 3rd Edition, Beirut, Dar Sader, 1414 AH.

45. ***Majmow Al-Fatawa,*** Ibn Taymiyyah, Ahmed bin Abdul Halim, Investigated by: Abdul Rahman bin Mohammed bin Qasim, Medina, King Fahd Complex for the Printing of the Noble Qur'an, Edition: 1416 AH.

46. ***Al-Mohariru el-Wajeez fi Tafseer Al-Kitab el-Azeez***, Ibn Attia, Abdul Haq bin Ghalib, Investigated by: Abdul Salam Abdul Shafi, 1, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya, 1422 AH.

47. ***Al-Mahsoul,*** Al-Razi, Abu Abdullah Mohammed bin Omar, study and Investigated by: Dr. Taha Jaber Fayyad Al-Alwani, 3rd edition, Beirut, Al-Resala Foundation, 1418 AH.

48. ***Al-Mukhtasar fi Usul Al-Hadith***, Al-Jarjani, Ali bin Mohammed, Investigated by: Ali Zwain, 1st edition, Riyadh, Al-Rushd Bookshop, 1407 AH.

49. ***Musnad Ahmed***, Ahmed bin Hanbal, Investigated by: Shuaib Al-Arnaout and others, 1, Beirut, Al-Resala Foundation, 1421 AH.

50. ***Mustalah Al-Hadith***, Ibn Uthaymeen, 1st Edition, Cairo, Al-Ilm Library, 1415 AH.

51. ***Al-Musannaf fi Al-Ahadith wal Athar***, Ibn Abi Shaybah, Abu Bakr Abdullah bin Mohammed, Investigated by: Kamal Yusuf Al-Hout, 1st Edition, Riyadh,

Al-Rushd Bookstore, 1409 AH.

52. ***"Maalimu at-Tanzeel fi Tafseer Al-Qur'an».*** Al-Baghawi, Al-Hussein bin Masoud. Investigated by: Abdul Razzaq Al-Mahdi. 1st edition, Beirut: Dar Ihya Al-Turath al-Arabi, 1420 AH.

53. ***Meanings of the Qur'an and its Syntax***, Al-Zajjaj, Ibrahim bin Al-Sirri, 1st Edition, investigated by: Abdel-Jalil Abdo Shalaby, Beirut, Alam Al-Kutub, 1408 AH.

54. ***"Mafatihul-Ghaib".*** Al-Razi, Mohammed bin Omar. Without publishing date, 3rd Edition, Beirut: Dar Ihyau Al-Turath Al-Arabi, 1420 AH.

55. ***Al-Mufradat fi Gharib Al-Quran***. Al-Isfahani, Al-Hussein bin Mohammed, Investigated by: Safwan Adnan, 1, Dar Al-Qalam, 1412 AH.

56. ***Maqaeis Al-Lughah***, Ibn Faris, Ahmed bin Faris, Investigated by: Abd al-Salam Haroun, Dar al-Fikr, Edition: 1399 AH.

57. ***Menhaj Al-Sunnah fi Naqd Kalam Al-Sheiah Al-Qadariyyah***, Ibn Taymiyyah, Ahmed bin Abdul Halim, Investigated by: Mohammed Rashad Salem, 1st Edition, Imam Mohammed bin Saud Islamic University, 1406 AH.

58. ***Al-Muwatta,*** Malik bin Anas, Investigated by: Mohammed Mustafa Al-Adhami, 1st edition, Zayed bin Sultan Foundation, 1425 AH.

59. ***Al-Nobwaat***, Ibn Taymiyyah, Ahmed bin Abdul Halim, Investigated by: Abdul Aziz bin Saleh Al-Tuwan, 1st Edition, Riyadh, Adwaa al-Salaf, 1420 AH.

60. ***Al-Nokat wal-Eyoun***, Al-Mawardi, Ali Bin Mohammed, Investigated: Al-Sayyid Bin Abdul-Maqsoud, Beirut: Dar Al-Kutub Al-Elmiyya, no edition number, without publishing date.

61. ***Al-Hedayah fi Bologh Al-Nehayah,*** Makki, Makki bin Abi Talib Hammoush, Investigated by: A group of university theses at the College of Postgraduate Studies and Scientific Research under the supervision of Shahid Al-Bushikhi, 1st Edition, Sharjah, Al-Kitab and Al-Sunnah Research Group, 1429 AH.

62. ***Al-Wajeez fi Tafseer Al-Kitab Al-Aziz***, Al-Nisaburi, Abu Al-Hasan Ali bin

Ahmed, Investigated by: Safwan Adnan Daoudi, 1st Edition, Damascus - Beirut, Dar Al-Qalam - Al-Dar Al-Shamiya, 1415 AH.

63. ***Al-Waseet fi Tafseer Al-Quran Al-Majeed***, Al-Wahidi, Abu Al-Hasan Ali bin Ahmed bin, Investigated by: Adel Ahmed Abdel-Mawgod and others, 1st edition, Beirut, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, 1415 AH.

فهرس الموضوعات

المستخلص ١٩
المقدمة ٢٣
المبحث الأول: مدخل لسنن الله ٢٩
المطلب الأول: تعريف السُّنَنِ ٢٩
المطلب الثاني: أنواع سُنَنِ اللهِ ﷻ ٣٥
المطلب الثالث: سُبلُ معرفةِ السُّنَنِ وفوائدُ معرفَتِها ٤٠
المبحث الثاني: السُّنَنُ المُسْتَنْبَطَةُ من قِصَّةِ موسى وبني إسرائيل ٤٥
المَطْلَبُ الأوَّلُ: السُّنَنُ المُتَعَلَّقَةُ بالله ﷻ ٤٥
المَطْلَبُ الثَّاني: السُّنَنُ المُتَعَلَّقَةُ بالإيمان ٥٣
المَطْلَبُ الثّالِثُ: السُّنَنُ المُتَعَلَّقَةُ بالدَّعوةِ ٥٩
المَطْلَبُ الرّابع: السُّنَنُ المُتَعَلَّقَةُ بالنصر والتمكين ٦٣
المَطْلَبُ الخامِسُ: السُّنَنُ المُتَعَلَّقَةُ بالكفر والتكذيب ٦٦
المَطْلَبُ السّادِسُ: السُّنَنُ المُتَعَلَّقَةُ بالجزاء ٨١
الخاتمة ٩٣
ثبت المصادر والمراجع ٩٦
رومنة المصادر والمراجع ١٠٢
فهرس الموضوعات ١٠٩

TADABBUR MAGAZINE

Refereed Scientific Biannual Journal specialized in the Arbitration and Publication of the Researches and Studies related to the Areas of Meditating on the Holy Qur'an

Issue No. (12) Year 6 / Rajab1443 AH, corresponding to February 2022

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩]

Part Two

TADABBUR MAGAZINE Index:

- Allah's Unchanged Laws "Sonan" in the Story of Moses and the Israel's in the Holy Quran
  Dr. Saleh Thunayan Al- Thunayan
- Turning Away From Al-Laghw is one of the Good People Features Allah (Glory Be to Him) said: And those who turn away from Al-Laghw (dirty, false, evil vain talk, falsehood, and all that Allah has forbidden). (Surat Al-Mominun: 3)
  Dr. Roqaiyah Mohammed Salem Baqais
- Explaining Scholar Al-Al-Habti›s Stops (Died in 930 AH) Objected by Sheikh Al-Ghamari (Died: 1413 AH)
  Dr. Talal Ahmed bin Ali bin Mohammed
- Convenience between Surat Attakathur and Al-Asr and Its Psychological and Educational Effect
  Prof Dr. Amal Ismail Saleh Saleh
- Rhetoric Inspiration of Mentioned & Omitted "Ha" in "Aowlae" After Pronouns in the Holy Quran
  PROF Dr. Ahmed Mohammed Mahmoud Saeed
- Thesis Report «Effect of Contemplating The Holy Quran on Enhancing Professional Liability among Female Preachers» Field Study on Female Teachers of the Holy Quran in Riyadh
  MS. Raniah M. Ali Al-Kenel
- Report about Academic Quranic Project entitled "Hayat Foundation for Contemplating the Holy Quran"

25 SR
1658-7642